

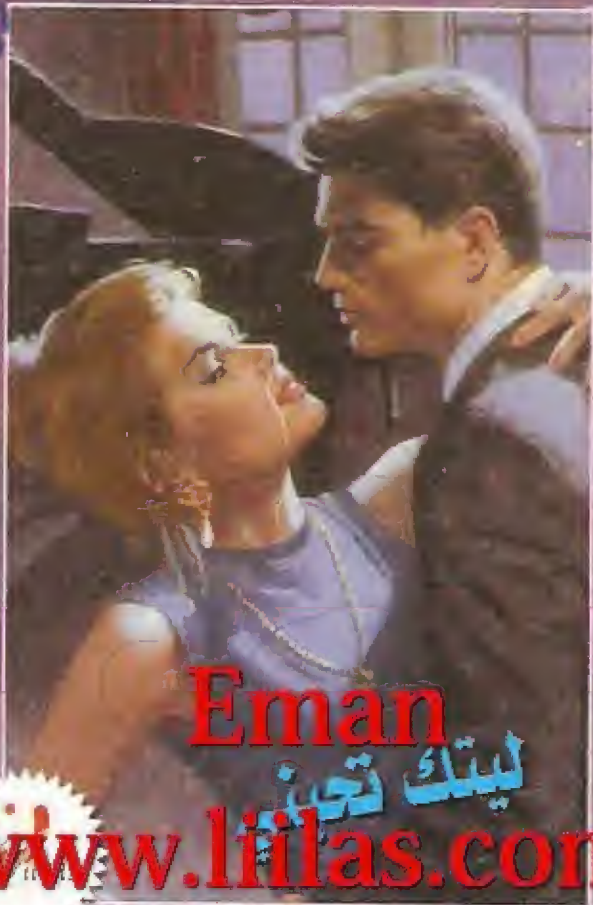


HARLEQUIN

عبدی

1133

1133



Eman

لیتک تحب

www.liilas.com

ليبتاك تحتي

دوتیر رولین

جَلَسَتْ لَوْسَى غَرِيشَامَ بِالْزَهَابِ الَّتِي قَبَّرَ فِي لَكْنٍ وَضَعَهَا

الفايد لم يستجيب لها، إلا أن الحظ كان إلى جانبها حين

تعرّفت إلى أدريان أوليفنت لتذهب معه إلى قبري وتكون

مرافقة لوالدته المستنة. اندهشت حين رأت اذريمان ليس

بالرجل السعيد مع انه يملك الكثير من المال، فحاولت

الاستفسار عن صحة حديثه وقيل ان تعرف الحقيقة وجدت

Eman

Eman

[illegible]

www.liilas.com

الفصل الأول

سارت لوسي غريشام بطريق قصير النيل في القاهرة في ذلك الصباح الحار من شهر مايو، وشاهدت المشاهد اليومية لجموع الناس التي تعبر الطريق، بعضها بالعربات البيضاء المعتادة والملاعات السوداء، والأخرى الأكثر ثراء بسياراتها الفاخرة والطرايش الحمراء التقليدية. شاهدت لوسي هذا وكل ما يفيض بالحس الفاهري... وشعرت بالأحباط والكآبة.

كان عليها وداع كل هذا، عليها وداع مصر وكل الشرق الأوسط... وعملها في السفارة كسكرتيرة طوال السنة والنصف الماضية.

كل ذلك انتهى. زياراتها الأخيرة إلى طبيب العيون كانت الحد الفاصل. ضوء شمس الصيف الساطع والتركيز المرهق على الطباعة أصاب عينيها بإرهاق شديد. وعليها الآن السعي لتبديل عملها.

ذهبت إلى السفارة البارحة للمرة الأخيرة. وعليها الآن انتظار المركب الذي سيقولها إلى انكلترا.

بحزن تابعت لوسي سيرهما وهي لم تمانع أبداً السير بالشمس الدافئة الحارقة. أحببت الشمس تماماً كما أحببت مصر. لم تشعر يوماً بالحنين إلى موطنها هنا، كمعظم الفتيات الأخريات، لعل السبب في ذلك يعود إلى عدم وجود عائلة لها هناك، عائلة تشدها إلى موطنها الأصلي.

والدها كان طبيباً في «مقاطعة البحيرات» وقد توفي قبل

سنتين. أما والدتها فقد توفيت فور ولادتها لها. وقد تدربت لوسي على الاختزال وأعمال السكرتاريا واللغات وكانت بالغة السعادة بالمجيء للعمل في السفارة في القاهرة حيث عرض عليها ذلك.

كانت فترة عملها هنا فترة استمتاع وسعادة، بطريقتها الهادئة الخاصة فهي فتاة خجولة تجد صعوبة في التعرف إلى الأصدقاء لعل لوسي كانت صعبة الإرضاء والشاب الوحيد الذي حاز على اهتمامها كان زميلاً لها في السفارة، لكن لم يلبث أن تم نقله إلى أفقره.

لم تكتثر لوسي لذلك، فالأمر لم يكن جدياً أصلاً. جل همها كل تلك الألوان والخيرية في العيش خارج أنكلترا. فقد عشقت الصحراء والرحلات عبر الليل، روعة الغروب والشروق، الإهرامات وكل ما يحيط بالحضارة الفرعونية القديمة من جمال وغموض.

خطبت للذهاب إلى قبرص هذا الصيف، قبرص التي يسمونها «جزيرة الحب».

سمعت لوسي الكثير عنها وأصبحت متشوقة جداً لزيارتها وقد ابتخرت المال اللازم للذهاب إلى هناك.

أما الآن فيبدو أن حلمها هذا لن يتحقق، فعليها إخبار كل قرش لإعالتها في لندن لحين استعادة راحة نظرها لمعاودة عملها لاحقاً.

أما هذا الصباح فقد قررت دخول أحد مكاتب السقريات والسؤال عن الحجز إلى قبرص. وقد امدها العاملون هناك بالعديد من الكتيبات عن الجزيرة.

نظرت إلى صورة كبيرة لقلعة كيرينيا الشهيرة، على شاطئ البحر، وأشجار الزيتون الخضراء الممتدة حتى

حياة الأبيض الصغير ستشعر لوسي يوماً بفقدان شيء من حياتها إن لم تتطأ قدمها رمال هذا الشاطئ.

كان المكتب الصغير هادئاً، وكان الموظف مشغولاً. حسّت لوسي وخلفت نظراتها الشمسية لكم كانت عينها مشرحين، ولكم تبدو شاحبة، تمتعت لوسي بهذا لنفسها وهي تنظر في المرآة، لكن شعورها الداخلي بالحماسة والإثارة، كان مشتتاً داخل هذا المظهر الخارجي البسيط.

سببت إغارات المرأة إلى حقيبتها ثم رفعت نظرها لمشاهد رجلاً عريض المنكبين طويل القامة كان يتناقش مع موظف المكتب. تعلقت نظراتها كما المغناطيس بظهر هذا الغريب، وشعره الداكن الأسود. كان يقول: «لا أبه لمسائل الحجز وما تقوله يا عزيزي ويلسون، عليك إيجاد مكان لي على متن تلك الطائرة، أريد أن أكون في كيرينيا بعد غد».

«سأفعل ما بوسعي لأجلك سيد أوليفنت».

هذا جنون. أردت فعلاً الذهاب إلى الخرطوم نهاية هذا الأسبوع، فلدي الكثير الكثير من الأعمال هناك، لكن والدتي ليست بصحة جيدة ولا يسعني تركها وحيدة في كيرينيا، صحتها تتراجع ولم يعد بإمكانها مغادرة القila أبداً، علي إيجاد مرافق لها.

تعاطف الموظف معه قائلاً: «هذا متعب جداً لك دون شك سيد أوليفنت، وأذكر قولك لي أنك سعيد جداً بالأنسة ليتل التي كانت تسكن مع السيدة الأم».

مر أوليفنت كتفيه مجيباً:

«كانت الأنسة ليتل مرافقة ممتازة، رسالة أمي ابليغني

اضطرار الأنسة للسفر عائدة الى بلادها لإجراء عملية جراحية ما، وانها على الأرجح لن تتمكن من العودة.» وكيف ستستبدلها سيد اوليفنت؟

«هذه هي المشكلة، لدي ٢٤ ساعة فقط لاجاء الشخص المناسب. ولن انجح بذلك بالطبع، لذا عليّ وضع إعلان بهذا الشأن وإيجاد من يهتم بأسي مؤقتاً. ولحسن الحظ ان لديها حالياً بعض الخدم في المنزل.»

تسمرت لوسي في مكانها. لم يكن بوسعها الا التذمت على ما يدور، مجرد ذكر اسم كيرينيا كان كافياً، يا لها من فرصة رائعة لمن سيحل محل الأنسة ليتل تلك ويكون مرافقاً للسيدة العجوز في فيلا كيرينيا...

استدار السيد اوليفنت وغادر المكتب، رمى لوسي بنظرة قصيرة غير مهتمة.

هناك شيء ما محير بأمره، قالت لوسي لنفسها وهي تتجيه نحو مكتب الموظف.

«من كان ذلك؟»

«السيد ادريان اوليفنت.» قال الموظف وأضاف متباهياً بمعرفته: «الجميع يعرفه، يعمل في تجارة النقل بحراً عبر الشرق الاوسط بأكمله ويمك فيللاً في قبرص.»

قالت لوسي ببطء: «أجل أعلم ذلك، لم استطع الا ان استمع لحديتكما.»

«ان كان بوسع احد الحصول على مقعد في الطائرة المتجهة الى قبرص الآن، فهو الذي يستطيع ذلك، بالتفوز المال والمكانة. لكنني لست واثقاً من امكانية ايجاده لمرافقة مناسبة لوالدته بفكرة قصيرة كهذه.»

قالت لوسي فجأة: «أه لكم أتمنى التقدم لهكذا وظيفه.»

رمى ولسون الفتاة ببرود متأسلاً ايها وقال: «أنت؟» شعرت لوسي بالدماء تندفع الى وجنتيها فيما قلبها يخفق بقوة وقالت: «ولم لا؟ أرغب بالذهاب الى قبرص، انحرق شوقاً لرؤيتها وأنا بحاجة لوظيفة جديدة، لدي مراجع متتازة. عملت لمدة سنة في وزارة الخارجية في لندن واعمل في السفارة البريطانية هنا منذ عام ونصف.»

رفع الموظف نظره اليها بعد ان ذكرت عملها في السفارة. اجل انها فتاة راقية قد تكون مناسبة لمساعدة السيد اوليفنت. انها شابة وباقعة، وهو يتصل من كانت أكبر سناً منها، لكن لا مانع من مقابلته لها والحكم عليها بنفسه. بإمكانها الذهاب لمقابلة السيد اوليفنت في شقته في شارع الجزيرة.

غادرت لوسي مكتب الطيران وفي حقيبتها قصاصة ورق تحمل عنوان السيد ادريان اوليفنت وفي قلبها بصيص أمل بإمكانية رؤية قبرص وترتيب مستقبلها في تلك الصنفقة أيضاً.

كانت الدقائق الاولى للقاء لوسي مع ادريان اوليفنت مخيبة للأمل. بدا منزعجاً حيث وجدها على باب شقته وسمع كيف ولماذا هي هنا.

«سخف من ولسون ارساله لك الي هنا أنسة...»

«غريشام.» ردت لوسي بحزن. «لوسي غريشام.»

«أسف أنسة غريشام، أنت صغيرة السن جداً، مرافقة والدتي الاخيرة كانت في الخمسينيات، وأنا ابحت عمّن يباهز هذا السن، ذوالدتي قد تعدت السبعين ولا ترغب بمرافقة كمرافقة.»

شهقت لوسي باستغراب واجابت: «أنا في الرابعة والعشرين

وانا اعمل لكسب عيشي منذ اربع سنوات». حذق ادريان اوليفنت بها بقوة. فهو لم يتوقع ابدا ان تكون بعمر العشرين حتى. كان قد لاحظ عينيهما الجميلتين وبديهما النحيلتين الناعمين لكنه لم يلحظ اي مظهر جمالي آخر بها.

كانت تحدثه عن عملها في القاهرة، وعن اجهاد نظرها وعن ضرورة عودتها الى لندن.

وانتهت بالقول: «لا ارجب بالعودة، ليس لدي ما اوجع اليه. ليس لدي احد هناك، وانا متلهفة جدا للرؤية قبرص، صدقني، انا مستعدة لتكريس وقتي كله لوالدتك. انا لا اكرث للحفلات والنزهات، انا احب الكتب والموسيقى. اعرف البيانو وفقا للسمع وليس للنوتة الموسيقية. ويقول كل من يسمعي ان عزفي جميل، قد ترغب والدتك بأن اعزف لها احيانا».

عند هذه اللحظة بالذات تردد ادريان اوليفنت. فقد كان متعبا ومرهقا من ضغط العمل في هذه الفترة العصيبة ومن ضرورة نهائه الى قبرص رغم حبه الجمل لوالدته. كان قراره في البداية التخلّص من هذه الفتاة بأسرع وقت ممكن، فهي لم تكن ما يريد، لكنه يحب الموسيقى، ووالدته تحب الموسيقى بدورها. هناك بيانو ضخم في فيلا كيرينيا لكن احدا لم يعزف عليه منذ فترة طويلة.

توسله صوت لوسي وهي تتابع: «سيد اوليفنت، لعلك تعتبر هذا تصرفا غير لائق لكنني لم استطع الا الاستماع الى محادثتك مع الموظف في مكتب الطيران. لقد دخلت ذلك المكتب وانا افكر بطريقة ما تجعلني اري قبرص. انت لا تعرف ماذا تعني لي عودتي الى لندن، ليس لدي اي

شيء هناك، لا عائلة او اقارب. بإمكانني تكريس وقتي بأكلته لوالدتك، ارجوك فكر باستخدامي ولو لفترة موقّعة حتى تجد مرافقة اخرى. من فضلك اعطني فرصة بإمكانك مباحثة رئيسي في السفارة، انظر اعطاني هذا» وناولته ورقة.

نكر ادريان كم هي امرأة ملحة ومصرة وببعض الاهتمام قرا الورقة بالطبع كان كل الكلام لصالح الشابة. سكرتيرة من الدرجة الاولى، تكية ويمكن الاعتماد عليها، لبق، ساف كثيرا لخصاوتها، الخ...

حشة هذا ما جذب انتباه ادريان، سار الى النافذة ونظر عبرها الى الخارج. ورحلت افكاره من القاهرة الى قبرص، الى فيلا كيرينيا، منزل والدته. كيف يمكن لوالدته لا تعجب بمرافقة بعمر هذه الفتاة؟ لعل هذا سيكون تغييرا نبيلا وستعشا لها بوجود شابة يافعة في المنزل.

ثم اندم على هذا القرار لاحقا فأنا لا ازال اعتبرك صغيرة سن. لكنني رجل مشغول جدا واتلف للاطمئنان على امر مرافقة جديدة. سأخاير السفارة وان كان كلامهم سفيحي ككلماتهم المكتوبة هذا فسأقترح على امي ان نجربك كمرافقة لها لمدة شهر».

«شكرا لك، شكرا جزيلا لك».

خير طريقة لك لشكري هي ببذل افضل ما لديك لاجل راحة والدتي، فسيحادثها هي اهم ما اريد واسعى اليه. انك عنيت حقا ما ذكرته حول عدم حبك للحفلات وسهرات. فوالدتي لن ترغب بإقامتك للعديد من الصداقات حيث سيصبح المنزل مرتعا لاصدقائك. من الطبيعي انك ستعطين بوقت راحة، لكن والدتي بحاجة الى الاهتمام

الدائم والحماية المركزة. فهي شبه عاجزة بسبب داء المفاسل وتسيير ببطء وتستخدم العكازات. عليك التواجد معها في كل مكان. إذا اعتقدت أن هذا العمل سيكون عملاً ومتعباً فقولني ذلك الآن.»

«لن أجد هذا عملاً أو متعباً. متى تريدين أن أبدأ؟»

«هل أنت حرة الآن؟»

«بالتأكيد.»

«أذن سنطير الى هناك بعد غد. اتصللي هاتفياً بمكتبي غداً وسأطالعك على الوقت. سيترك سائقي الخاص ويأخذك الى المطار.»

هذا تحقيق لأروع أحلامها. من الواضح أن أدريان أوليفنت رجل يتصرف بسرعة وتنظيم فور اتخاذه لأي قرار. بعد غد ستطير الى قبرص. يا لحظها الرائع!

قطع صوت أدريان عليها أفكارها السعيدة قائلاً: «لا تحضري الكثير من الحقائق لو سمحت. حقيبتان فقط. وسأعمل على شحن بقية أغراضك الثقيلة الى الجزيرة لاحقاً.»

«جيد جداً.» ثم خطرت على بالها فكرة مفاجئة. لا يجب على أي فتاة القصر بطيش، وإن كانت ستغادر مصر بهذه السرعة... فعليها بالطبع إجراء بعض الاستفسارات هي بدورها.

ترددت قليلاً وهي تقول: «أنت لا تمنع بطرحي بعض الأسئلة عنك... وعن...»

توقفت وهي تشعر بالارتباك والخوف من أن يجعله كلامها غاضباً وإن يرفض استخدامها.

حدق أدريان بوجعها ولاحظ توترها. ثم فجأة فهم

ولاحظ النظرة الساخرة في عينيه وضحك بخفية. «أه فهمت. تريدان التأكد من أنني لست ذنباً متخفياً بثوب نعجة يسعى للإيقاع بك. لكم هذا مضحكاً. لكن بالطبع لك الحق في ذلك. فقد غامرت بعرض خدماتك على رجل غريب في القاهرة. لكنني أقول لك الحرية الكاملة بالسؤال عني، فأسمي واسم شركتي معروفان تماماً في كل الشرق الأوسط. لدي مكاتب هنا في الاسكندرية، في السودان، وفي اليونان، وبإمكان السيد الذي كنت تعملين سكرتيرة له إعطائك معلومات كافية عني. فقد عملت شخصياً معه حين كنت ضابط اتصال أثناء الحرب. حقاً لا داع للقلق من ناحيتي.»

لم يساعد هذا الخطاب بالثقليل من ارتباك وخرج لوسي. فقد شعرت ببعض المتعاض. وقبل أن تجيبه، تبدل مزاجه واضاف بنبرة أقل حدة:

«على كل حال لك الحق في ذلك. وإن سار كل شيء على مايرام فسنلتقي في المطار بعد غد. شكراً لك لعروضك لخدماتك.»

ابتسم لها الآن ابتسامة وأمنة جعلته يبدو أكثر انسانية كأن جذاباً ووسيماً جداً. لكن الأهم في كل أفكارها الآن كان أدراكها أنها أخيراً ستذهب الى قبرص.

استمعت صديقاتها الى أنبائها المذهلة وشعرن بالغيرة والدهشة.

حين سمع مديرها السابق اسم أدريان أوليفنت رد على الفور: «أه أوليفنت! انه من أفضل الرجال وهو بالغ الثراء فقد ورث شركة الشحن الملاحية تلك من أبيه، ورغم كل ثروته إلا انه رجل بسيط ومتواضع. وهو الأكثر كرمًا

من كل من قابلت في حياتي، ويحب والدته حباً جماً
 افنك مخطوطة يا لوسي بالحصول على هذا العمل...»
 وحين اخبرته لوسي انها اعتقدت السيد اريان اوليفنت
 شخصاً مريعاً، انفجر المدير بالضحك واعترف قائلاً: «أه،
 اجل، لا وقت لأوليفنت للنساء، فهو مشغول تماماً في
 تجارتها، وقد مرت تجربة حب مأساوية لكني لا اعرف شيئاً
 عنها.»

وغير ذلك لم تعرف لوسي شيئاً اضافياً عن مخدمها وحتى
 بعد ٢٦ ساعة حيث كانت على متن الطائرة التي تقلها
 واريان اوليفنت الى قبرص كانت لا تزال تشعر بالدوار.
 نظرت لوسي مجدداً عبر النافذة وتسارعت نبضات قلبها
 حين رأت جزيرة قبرص، اخيراً قبرص!
 صاحبت قائلة: «ها قد وصلنا، نيقوسيا عاصمة قبرص
 اليس كذلك؟»

تمتم قائلاً: «اجل.»

تقلصت لوسي في مقعدها، للسيد اوليفنت طريقة ممتازة
 بسحق الحماس والاهفة.

كان سائق سيارة خاصة بانتظارهما، لم يسبق للوسي ان
 شاهدت ما هو اكثر جمالاً مما كانت تراه الآن والسيارة
 تنهب الطريق متجهة نحو فيلا كيرينيا.

بعد استدارة بسيطة ظهرت كيرينيا والقلعة القديمة. كانت
 هذه لوحة انحفرت في مخيلتها الى الابد، وفيما تابعت
 السيارة سيرها رأت لوسي البلدة البيضاء اللون، المرفأ
 الصغير والاكوخ الخشبية الملونة لم تستطع الا ان تستدير
 نحو اريان قائلة بحماس:

«أه، كل شيء كما تخيلته تماماً، انها رائعة، اعرف الآن

لما يدعونها «جزيرة الحب» فقد غرقت في حبها منذ لحظة
 هبوطنا إليها...»

ثم توقفت عن المتابعة واحمرت وجنتاها خجلاً وابتعدت
 عن الرجل بارتباك.

شعر اريان ببعض الدهشة، كانت هذه فتاة غريبة
 وغير عادية، وقرر اخبارها ان قبرص تدعى «جزيرة
 الحب» لسبب مختلف تماماً. فوفقاً للميثولوجيا ولدت
 افروديت هنا في بافوس، وكانت افروديت شعار الحب عند
 اليونانيين القدامى، حتى الآن لا يزال الاهالي يحتفلون
 بيوم ميلادها.

وصلوا الآن الى اسفل القلعة وخارج حدود القرية بقليل
 دخلت السيارة في ممر خاص اسواره بيضاء عالية تغمرها
 النباتات وقمرات لوسي على لوحة معدنية كبيرة «فيلا
 فينيشيا»

قال اوليفنت «هذا منزل والدتي.»

جلست لوسي بهدوء وسكون فيما دخلت السيارة الى مدخل
 الفيلا. كانت الاعمدة البيضاء الفخمة تزين الحديقة الغناء
 وتنحدر الحديقة نحو الشاطئ والمرفأ الخاص الصغير.

بعد دقائق قليلة وجدت لوسي نفسها في صالون كبير
 بارد حيث تنتظرها السيدة اوليفنت. كانت سيدة صغيرة
 الحجم، تجلس على كرسي ضخم ويديها عصاً من العاج
 الاسود وخلف ظهرها مساند حريرية. كان وجهها نحيلاً
 ورقيق الملامح وشعرها الابيض مرفوعاً بطريقة جميلة
 تحت الغلالة الايطالية من الدانتيل الاسود. كان وجهها
 يعكس معاناة كبيرة لكنه كان رقيقاً ولطيفاً تماماً
 كصوتها.

وجه الشبه الوحيد بينهما وبين ابنها كانت تلك العيشتان الزرقاوان اللامعتان.

رحبت السيدة العجوز بلوسي على الفور قائلة: «لم يخطر ببالي مطلقاً أن بإمكان ولدي إيجاد مرافقة لي عوضاً عن الأنسة ليقل يمثل هذه السرعة، لكن حقاً ادريان...» والتفتت إلى الرجل متابعه بضحكة خفيفة. «لقد احضرت لي فتاة صغيرة وضعيفة كضعف امك العجوز وأنا بحاجة إلى ساعدين قويين هذه الايام.»

اجابت لوسي بسرعة: «لكنني قوية سيده اوليفنت، اؤكد لك ذلك. انا اقوى بكثير مما ايدو عليه ولم يسبق لي ان مرضت ابداً، فقط عيناى هما المتعبتان بإمكانني مساعدتك بأي شيء. وأنا لست طفلة حقاً. انا في الرابعة والعشرين ومستقلة تماماً. كانت وظيفتي دقيقة جداً في السفارة وأنا اعشق المنزل والبقاء بالداخل. كنت اهتم بكل شؤون منزلي واعتني بوالدي حتى وافته المنية.»

رفعت بلانش اوليفنت يدها نحو لوسي: «حسناً، حسناً يا عزيزتي، سنرى بهذا الشأن، اشعر انك ستعتنين جيداً بي، لكنك صغيرة السن جداً وجميلة واشفق عليك البقاء مع عجوز.»

«لا، لا، لست كذلك.» قاطعتها لوسي وقد اندفع الدم إلى وجنتيها. ضحكت السيدة اوليفنت مجدداً والتفتت إلى ابنها: «الا تجدها كذلك يا ادريان؟»

لم تجرؤ لوسي على رفع نظرها اليه. شعرت بنقصها تتفحص ارتياكاً فقد ادركت انه سيقول شيئاً مريعاً، وهذا ما حدث بالفعل.

«لست بمن يحكم على الفتيات الجميلات، وقد احضرت

الآنسة غريشام إلى هنا ليس بسبب وجهها بل لأنها كانت مثلهمة للمعجىء إلى الجزيرة وفكرت انك بحاجة ماسة لمن يحل مكان الآنسة لينث. لكن ان لم تكن الآنسة غريشام مناسبة لك...»

توقف عن الكلام وغاص قلب لوسي بحزن. لكن السيدة اوليفنت اعادت إليها الأمل وهي تقول: «يا الآنسة غريشام المسكينة، يا لكذا ترحيب محبط لها في فيللا فينيشيا!» اشعر بالخجل منك يا ادريان اذا ارادت الفتاة البقاء والاعتناء بي فلها ذلك. من الممتع لي وجود شابة يافعة في منزلي، ببعض الاحيان اشعر بالعجز والوحدة.»

شاهدت لوسي بذهول التحول المفاجيء الذي طرأ على ادريان وهو يقنني بحب وقد لوت العاطفة الرقيقة وجهه عقلاً وحنة والدته قائلاً: «لن تكوفي عجوزاً ابداً امي، انت لا تشيخين بنظري بتاتاً.»

عانقته وسأله: «انا سعيدة جداً لرؤيتك هنا يا حبيبي. ان تبقى؟»

«علي المغادرة غداً صباحاً، فلدي عمل طارئ ومهم في اتينا.» تنهدت الوالدة ونظرت إلى لوسي قائلة بحزن: «انا لا اري ولدي مطولاً ابداً يا لوسي، هل لي بمصاداتك لوسي؟» بالتأكيد. ردت لوسي بابتسامة خجولة.

الآن دعى خادمتي نيتا ترشدك إلى غرفتك التي اعدتها لك فور وصول برقية ابني. ثم تعالي لتناول طعام الغداء.»

تبعته لوسي الفتاة القبرصية الجميلة المدعوة نيتا عبر السلام الخشبية إلى المطبخ العلوي. لقد ادركت فور ان

حطت الطائرة على أرض المطار لما كانت متشوكة ومثلثة للمجيء إلى هذه الجزيرة. انها فعلاً جزيرة الاحلام الرائعة، وهذا أروع منزل سبق ان شاهده في حياته، كل ركن فيه ينطق بالجمال والرفق، الغرف العديدة، الارضية التالعة والسجادات الثمينة، اللوحات الاصيلة التي لا تقدر بثمن، التحف البرونزية والرخامية، التحف الصينية وقطع الكريستال في الطابق السفلي فيما بعد ان السيدة اوليفانت قضت فترة طويلة في روما وفلورانس حيث انشأ والد ادريان شركة للنقل البحري خاصتهم، واصبحت هذه الفيلا منزل الوالدة منذ تزلت منذ اثنتا عشرة سنة. كانت غرفة لوسي مريحة وجميلة وانكليزية الطراز بمفارشها الزهرية والبيضاء واثاثها البسيط الناعم. كانت هذه غرفة الأتسة ليلنا سابقاً وكانت النافذة الكبيرة على احد جدرانها تظهر البحر الرائع في الاسفل. نظرت لوسي إلى البحر وتمنت لو انها تبقى هنا إلى الأبد. كانت سعيدة لسفر ادريان اوليفانت في القدر حيث سيبقى في هذا التعميم وحدها مع والدته الطييفة. اما حتى ذلك الحين فهي لن تسمح لأي من تعلقاته الساحرة بأفكار سعادتها هذه.

امضت بقية النهار بعيداً عن الوالدة والابن تاركة لهما الوقت معا وتجولت في الحديقة وتمتت إلى القرية القريبة. سحرها اللون واللطيف الموجود لدى القبارصة.

كان الجميع يبتسم للغريبة النحيلة الانكليزية. لكن الشيء الوحيد الذي ادركته اثناء محادثتها مع المحليين، الغبطة التي كانت تغادرهم فور ذكرها لمكان اقامتها جميعهم كان يتوقف عن الابتسام والحديث فور ذكرها لفيلا

فينيشيا وان السيد اوليفانت لازال هناك، بأدب وبهدوء كانت الرسالة تصل إلى لوسي بأنهم لا يرغبون بمقابلة الحديث.

عادت لاحقاً إلى الفيلا بسعادة عارمة لدفع ودية أهل القرية لكنها كانت مشوشة الأفكار حول سبب كره المحليين للسيد اوليفانت.

لم تر الأم والابن الا وقت العشاء، اخبرت نينا لوسي ان السيدة تيدل ملابسها على العشاء لذا فقد فعلت لوسي المثل واستقبلت ملابسها.

استقبلت لوسي بايتسامة مرحبة وقالت: «اخبرينا كل شيء عن منزلك إلى القرية.»

بدأت لوسي الكلام ثم رفعت نظرها ورأت عيونه عليها وهو يجلس على الكرسي المقابل لها. كانت نظره عدائية وصارمة لسبب تجهله وقد اعادت إلى ذهنها كرد الاهالي المحليين له. وتساءلت: ترى ما الأمر؟؟

ثم نهضت وغادرت المكان، فجأة استدار نحو الرف الحديدي المثبت على الجدار واتكىء بزاغيه عليه مخفياً وجهه بكفيه.

وتتم قائلًا: «لقد أصبحت وحشًا، كنت رهيباً مع تلك الفتاة دون أدنى سبب، لقد حدث كل شيء هنا في هذا المكان، في هذه الغرفة، أما لو أن الماضي لم يحدث أبداً، لو كان بإمكان المرء العودة إلى الوراء لا التقدم إلى الأمام، حينها لعل لوسي غريشام نفسها قد تفهم وتعتذر لو أنها عرفت».

لكن لوسي لا تعرف ولا تجد أي مبرر لتصرفه الرهيب هذا، نزلت إلى الفطور صباح اليوم التالي بعد أن ستمعت نظرها بالبحر اللامع والشمس الدافئة والسماء الزرقاء عبر نافذة غرفتها، رأت أدريان على الشرفة ويادلهما الحديث هذه المرة لكن بطريقة مختلفة تماماً. فقد ودع والدته للثو وكان يستعد للذهاب إلى نيقوسيا، نظر إلى لوسي وتذكر تلك الفتاة الجميلة ذات العيون الزهنية التي أثارته تكرياته المزينة على العشاء البارحة. لكن ما يراه اليوم تلك الفتاة المتحفظة ذات النظارات الطبية. قال: «أريد الاعتذار لك عما بدر مني ليلة البارحة، أنا حقاً بعتق لك لقبولك هذه الوظيفة والاعتناء بوالدتي، اشكرك على ذلك».

فبداً مدت لوسي له يدها مصافحة وقالت: «لا داعي للشكر سيد أوليفنت أنا من عليها شكرك لإتاحة هذه الفرصة لي».

امسك بيدها وشعرت على الفور بقوة أصابعه، ثم قال: «سأعود إلى هنا لاحقاً حيث يخف ضغط العمل قليلاً لأرى كيف تتدبرين أمورك، إذا اعتقدت أن والدتي

الفصل الثاني

ما لم تكن تعرفه أن أدريان أوليفنت كان يمر في تلك اللحظة بالذات بصراع عقلي قوي جداً، فقد أذهله مظهر لوسي على العشاء، فمن قبل كان يراها كفتاة صغيرة لا قيمة لها ترتدي نظارة طبية، الليلة ظهرت من دون النظارات مظهره جمال عينيها العسلية الواسعتين ورموشها الكثيفة. لم يحدثها مطلقاً أثناء العشاء، وببطء سيطر الصمت على لوسي رغم محاولات السيدة أوليفنت لإشراكها في الحديث بين الحين والآخر من باب اللياقة الأدبية، خطا عليها أدريان مرة واحدة فقط قبل انتهاء تلك الأمسية، بعد أن أوصل والدته إلى غرفة نومها. وبقائه وحيداً مع لوسي قال بصوت جليدي:

«سأغادر إلى أثينا غداً صباحاً، لست واثقاً أن كنت مخطئاً أم مصيباً بإحضارك إلى هنا، لكن يبدو أنك تروقين لوالدتي».

احمرت وجنتا لوسي وتابع قائلاً: «لكني أكرر لك ثانية عدم رغبتني بإيجاء رفيق ما لك من القرية وإحضاره إلى هنا، وأيضاً أحذرك من إثارة استياء والدتي بأي طريقة ممكنة».

سيطر الغضب على لوسي حينها فرغم كل لياقتها وعمق رغبتها في البقاء هنا، إلا أنها لن تسمح له بمخاطبتها بمثل هذه اللهجة وقد أخبرته بذلك:

«قبلت بالوظيفة كمرافقة للسيدة والدتك وليس كخادمة تملئ عليها شؤون حياتها الخاصة، أفهم ذلك جيداً لو سمحت».

بحاجة لشيء ماء، أو بحال حدوث خطب ما فابعدني من فضلك برفقة إلى مكتبي الرئيسي على الفور.» ثم رحل بشيء من الراحة، استدارت لوسي عائدة إلى القلعة، ياله من رجل غير عادي! فقد ادّشها اعتذاره لها.

وجئت لوسي بعد أيام أن حياتها ووظيفتها الجديدة سهلة جداً ومريحة، دون أي واجبات متعبة وكل ما كان يطلب منها كان من الأمور المحببة إليها. كالإشراف على الأعمال المنزلية، مراجعة الطباخ وتحديد أنواع الأطعمة التي سيتناولونها على الغذاء والعشاء، بعض أعمال الخياطة، مساعدة السيدة أوليفنت بارتداء ملابسها وبتنظيفها من غرفة إلى أخرى، أيضاً وايضاً شراء الحاجيات اليومية من سوق البلدة القريب حيث تعلمت لوسي بسرعة قيمة العملات القبرصية.

كان اصحاب القلعة لطفاء دوماً معها، ولاحظت كيف تغيرت طريقتهم نحو الأفضل فور معرفتهم بمغادرة ادريان أوليفنت الجزيرة. فقد بدا أن الجميع متشوق لخدمة وراحة السيدة الوالدة. إضافة لساعة من القراءة بصوت مرتفع للسيدة الام، كان للوسي الكثير من الوقت الإضافي الحر.

ثم كان هناك البيانو، وقد بدأت لوسي العزف عليه صباح اليوم التالي لمغادرة ادريان أوليفنت الجزيرة. كانت لوسي تعزف للسيدة يومياً لمدة ساعة. لم تصدق لوسي مدى سعادة المرأة العجوز بالاستماع لها! وقد اطرت على عزفها وعلى اذنها الموسيقى وكانت تعشق معزوفات شوبان بالذات والتي كانت لوسي يدورها تفضلها.

«هذا يغمرنني بسعادة عارمة لم أشعر بها منذ سنوات وسنوات. عزفك يسحرني ويعجبني. سأكتب لابني وأخبره أنك الشخص المطلوب بالضبط لي.» شكرتها لوسي بخجل وتابعت السيدة الأم. «أتمنى لو أن ادريان سمعك تعزفين، لكنه سيفعل في المرة القادمة التي يأتي بها لزيارتنا.»

لم تجب لوسي، يبدو أن حب السيدة الوالدة لابنها اعماها عما يعتقده الآخرون بشأنه. وقد فرحت لإدخالها السعادة إلى قلب السيدة التي رغم الأيام القليلة التي عرفت بها إلا أنها اكتسبت حب لوسي لها واحترامها.

كانت دافعة التحدث عن ادريان، متدحة نكاهه، ونباهته في الاستمرار بنجاح باهر في تجارة أبيه وعوق هذا إخلاصه الكبير وتكريسه لنفسه لراحة وسعادة والته، لم يكن لأي امرأة أبداً ايها يعقل طبيته وحذانه. لكنها المحب كريات في الماضي حطمت حبه للجزيرة، لكن حتى الآن لا تتمكن لوسي من حل اللغز الغامض المرتبط بكرهه للجزيرة وكره اهالي الجزيرة له.

وفي إحدى الامسيات حين كانت السيدة أوليفنت ترتاح بعد تناول الغذاء، أخذت لوسي كاميرتها واتجهت إلى الطريق المؤدي إلى «بيلابوس» طلبت منها السيدة أوليفنت ستجار سيارة ليقطعها إلى هناك لكن لوسي فضلت السير. فقد سمعت الكثير عن هذا الموقع الأثري القديم، وكان فيه العديد من الأعمدة القوطية القديمة.

توقفت لوسي عدة مرات لالتقاط الصور لهذا المنظر الخلاب. وذاك، ثم فجأة وصلت إلى فندق صغير وسط القلة، مدخله مزين بالازهار حيث تنتشر الكراسي والطاولات الصغيرة.

وفي الأعلى كانت سقاية من نباتات العنب القبرصي الشهيير، ومن هنا بإمكان المرء رؤية المرفأ الصغير والبحر المترامي الاطراف.

لم تتمكن لوسي الا ان تتوقف للاستراحة واحتماء الشراب البارد، جلست ونزعت ثيبتها ونظاراتها ومسحت وجهها فيما هي بانتظار عودة النادلة ابريق الليموناضة الطازجة.

لحظات وخرج من داخل الفندق كلباً اسود وفقر مرحاً باتجاه لوسي. نادى رجل ما على الكلب بلغة يونانية رفعت لوسي نظرها الى مصدر الصوت لتجد رجلاً معتدل القامة، بشعر اشقر وعينين زرقاوين وبشرة سمراء لوحتها الشمس، ابتسمت له وقالت:

«لا بأس، فأنا احب الكلاب».

تقدم الرجل نحوها واجابها بذات لغتها: «آه، مساء الخير، قد يتخ شوك من قوائمه، انه كئيب سيء، هل بإمكانني مساعدتك بأي شيء؟» اترغبين باحتساء الشاي؟»

«لا، شكراً لك، فقد طلبت الليموناضة، انا في طريقتي الى «بيلايس» لكنني لم استطع مقاومة الجلوس في هذا المكان، انه مكان رائع والمناظر من هنا خلّاب».

«انا ادير هذا المكان لأجل جدائي، اخهما يونانيان لكنهما يعيشان هنا في قبرص منذ قرون، اسمي نيكولاس اليستون».

«واسمي لوسي غريشام، وقد احببت هذا المكان».

«عليك رؤية المكان من الداخل ايضاً، فهو مشهور بأثاثه المميز والقديم جداً، بعضه من خشب الجوز الانكليزي وكان يعود اصلاً لوالدتي، فولدني انكليزية».

احضرت النادلة ابريق الليموناضة، فسكب نيكولاس اليستون لها العصير في الكوب.

طلب منها الاذن بالجلوس ومحادثتها فيما هي تحتسي شرابها، فوافقت لوسي قائلة:

«طبعاً، تفضل».

سمعتة يتحدث عن نفسه وعن كيرينيا، كان مختلاً قليلاً لكن بطريقة لائقة ومحترمة.

علمت انه يتحدث الانكليزية بطلاقة لانه نشأ وترعرع في بريطانيا، كان يخطط ليصبح صاحب فندق لكن الحرب افشلت مخططة، ثم قتل والده وزوجته في حادث طيران وعاد هو الى قبرص، وكان جداه يديران هذا الفندق لكنهما كانا قد هربا واصبحا عاجزين عن ادارته، ولهذا استلم نيكولاس هذه المهمة عنهما.

«اشعر احياناً انني اضيع وقتي سدى» اخبر لوسي وهو يجلس على طرف الكرسي ويتابع بتفكير:

«قد اطلق السنة القادمة هذا الفندق واعود الى اوروبا، قلتي الوحيد هو شقيقتي التي لا يسعني تركها هنا وحدها».

«اذن لديك شقيقة؟» تساءلت لوسي باهتمام.

«اجل لدي شقيقة».

ثم لاحظت الغمامة السوداء التي ظهرت في عينيها: «افروديت مسؤولة كبيرة على كافلي، آه، ها قد اتت».

وخرجت من الفندق فتاة صغيرة وانضمت اليهما، لكن جمالها كان مختفياً خلف تقطبة حادة وفم ملتو ممتعض.

نهض نيكولاس عن الطاولة منادياً اياها، «تعال يا افروديت والقي التحية على الأنة الانكليزية، والتي وصلت الى كيرينيا، اسمها الأنة غريشام».

تقدمت الفتاة ومدت يدها مرحبة بلوسي. وحين تكلمت كانت لهجتها متلوثة باللفظ اليوناني.

قالت لها لوسي: «أنت لا تشبهين أخاك مطلقاً». فأجابها نيكولاس: «أفروديت يونانية أصيلة، هي اختي غير الشقيقة لجهة والذي فقط، أنا في الخامسة والعشرين وهي تصغرنى بسبع سنوات. ومنذ مقتل والدي ووالدتها وأنا العبد دور والديا وشقيقها بنفس الوقت». ثم حدج أفروديت بنظرة غاضبة متابعاً:

«وصدقيني هي مصدر متاعب كبيرة لي».

هزت الفتاة كتفيها بعدم اكتراث وضحكت لوسي: «إنها جميلة جداً وأظنها تحظى بالكثير من الأصدقاء الشبان، وهذا ما يزعجك يا نيكولاس».

«حان الوقت لها للارتباط الثابت بزوج».

فسارعت الفتاة للقول:

«آه، احسنت من فضلك فأنا لا أرغب بالزواج».

هز نيكولاس كتفيه وألقت إلى لوسي قائلاً:

«أين تقمين أنسة غريشام؟ في أي فندق؟»

«لا أقيم في أي فندق. فأنا أعيش الآن في فيللا فيتشييا».

كان لوقع الاسم صدمة الكهرياء عليهما. فقد عبس الوجه الباسم فوراً وتجددت ملاحظه للحظات، ذات رد الفعل الذي سبق للوسي رؤيته عند اهالي البلدة، وقد أزعجها هذا الأمر.

وتأبعت تقول: «أحضرنى السيد أدريان أوليفنت إلى هنا من القاهرة قبل أسبوع، أنا مرافقة والدته».

مجدها الحسنت الثقيل، لكن رأت لوسي هذه المرة وجه الفتاة الشابة يكاد يتفجير من اللون الأحمر القاني ثم

يشحول إلى وجه بلا حياة. تلالآت الدموع في عينيها وارتفعت شفتاها واقتربت من لوسي متسائلة بصوت يعترضه الحزن: «أمو هنا مجدداً؟ هو على الجزيرة؟ هو هناك الآن؟»

قالت لوسي زاهلة: «ليس حالياً...»

كن نيكولاس قاطعها مخاطباً اخته بصوت كالرعد: «كيف تجروين على طرح هكذا أسئلة؟ عودي إلى الداخل، عودي إلى الداخل الآن افرو، الآن». ثم تابع سيل كلماته لكن باللغة اليونانية التي لم تفهمها لوسي لكن نبرته حافظت على ذات الغضب ونفس الحقن. وكان تأثير ذلك على الفتاة حسماً أن انفجرت بالبكاء وهربت مسرعة إلى داخل فندق.

هست لوسي وقد شعرت بالامتناع وعدم الفهم مجدداً عدم شعبية أدريان أوليفنت في المنطقة التي يظل غامض خبيث على سلام وسعادة الحياة في الجزيرة. قالت لوسي: «الأفضل لي المغادرة الآن».

لا، من فضلك لا تغادري الآن. أسف بشأن اختي، سامحيتها أرجوك. لكني أرغب كثيراً ببقائك لبعض الوقت تحدث معك».

ظن من الأفضل لي المغادرة».

أرغب كثيراً بسماع أخبارك انك لترا ومعرفة أحوالها حالياً منك. ليت أفروديت لم تقاضينا».

ماذا يزعج اسم أدريان أوليفنت الجميع؟ لماذا جعل اختك غير الشقيقة تتفق بالبكاء؟»

خذ نيكولاس نفساً عميقاً وأجابها بصوت عميق: «بإمكانني إخبارك بالكثير إذا شئت أنا ذلك...»

بدأ بكاء افروديت وتوالتها يحزن لوسي لكنه كان يضايق نيكولاس. نظر نحو الفندق: «ارجوك اعذريني أنة غريسام، علي الدخول والطلب من اختي التوقف عن ذلك. فهي لن تهك لاجله».

تهكي لاجله... وحجست لوسي انفاسها. لاجل ادريان؟ لا شك، ان نيكولاس يعني ادريان ولا احد غيره. واوشكت لوسي على طرح السؤال عليه لكنه كان قد اختفى داخل الفندق. وبلحظة قررت لوسي بدورها الاختفاء، ستنابح سيرها الى «بيلايس». فقد امتنعت من البقاء والاستماع للزمية حول مخدمها فيما هي تعيش تحت سقف منزله. قال نيكولاس: «دعيني ارافك اذن لو سمحت اعرف كل شهر في ذلك المكان واستطيع ان اكون دليك السباحي بمعرفتي لتاريخ بيلايس القديم».

«لك ذلك اذن».

«آه، شكرا لك، وسقراقتنا افروديت، سأطلب منها ذلك». وسارع داخل الفندق، وجد اخته تغسل وجهها. فأمرها بالحجيء للتخذه معه ومع الأنسة الانكليزية وعليها الا تذكر اسم السيد اوليفنت مطلقا.

«لا رغبة لي بالذهاب، اتركني وشأني».

«ستفغرين ما أمرك به، والا فسندهبين للعيش عند العمدة كاليوب».

كان هذا تهديدا قديما، لكنه كان ينجح دوماً فالعمدة كاليوب كانت تعيش بمفردها في اثينا، والذهاب للعيش معها يعني ان تصبح افروديت بعيدة عن الناس في بيت معزول على تلة عالية لا يدخله احد.

تمتعت قاتلة بمل: «حسنا، سأرافقكما يا نيكولاس. لكن

سأذا تفعل الفتاة الانكليزية في فيلا فيثيشيا».

ابها مرافقة العجوز الجديدة».

اوليت هي خطيبته الجديدة».

كان سؤالها يحمل الكثير من القعاسة والحزن ولم يستطع نيكولاس الا ان يشعر بالشفقة على اخته الصغيرة الحبيبة. فاقترب منها واضعا ذراعه حول كتفها قائلا: «لا، لا، لم يخطب احدا. وهو ليس في كيرينيا. لذا ارجوك انسي مره وتعالى معنا. افرو. الأنسة الانكليزية جذابة، وجميلة وانا معجب بها».

قد رأى نيكولاس السيد اوليفنت طيلة الصيف الماضي، فهواية الأخير هي الرسم. وقد طلب من افروديت ان تكون عارضة للتوب القبرصي التقليدي. رأى نيكولاس ازورع واضمح واجمل لوحة زيتيه لاخته وهي ترتدي لوبا فولكلوريا قبرصيا مع العقد الذهبي الفخم المعروف والاقراط الكبيرة. وصمم نيكولاس على وضع هذه اللوحة الخلاية في بهو الفندق فور انتهاء ادريان من رسمها.

في تلك الايام كانت افروديت مجرد طفلة سعيدة في السابعة عشرة من عمرها. وقد وافق اهلها على ان تكون عارضة لادريان من باب الاحترام لال اوليفنت وكجميل كريم يقدمونه للعائلة العريقة.

ومع ان افروديت بدأت تلتف للذهاب الى استوديو الرسم واخذت تمتدح على الدوام السيد الانكليزي، لكن القلق لم ياور نيكولاس مطلقا، فالفتاة مجرد مرافقة صغيرة لا بد ان السيد اوليفنت سيضع حدا لها بحال تمادت. وفي ليلة باردة يصحبها رياح عنيفة تهب من قمم الجبال مكلة بالثلوج. ذهبت افروديت مع عائلتها لقضاء سهرة

مع الاصدقاء ولكن عندما هموا بالمغادرة لاحظ نيكولاس ان افروديت لم تكن موجودة.

وظل نيكولاس يبحث عنها طوال ساعة كاملة في كل ارجاء كيرينيا، لكنه لم يجد افروديت في اي مكان. ثم التقى نيكولاس باحد اصدقائه من رجال الشرطة الذي اخبره انه شاهد افروديت تدخل ممر فيلا فينيشيا قبل حوالي ساعة.

بعد تصديق وبيحر من الشكوك اتجه نيكولاس مباشرة الى منزل آل اوليفنت.

وكان مرسم السيد اوليفنت عبارة عن غرفة كبيرة مبنية في الحديقة الخلفية للفيللا. اتجه الفتى اليوناني الى هناك مباشرة وكان حذسه مصيباً ويا للهول. لم يكن ليصدق ذلك... لكن افروديت كانت هناك. رآها، كانت الانوار مضاءة وعبر النافذة الكبيرة الخالية من الستائر رأى نيكولاس كل شيء.

كانت جالسة على الكنية، اما السيد اوليفنت فقد كان جاثياً قريبها وممسكاً بيديها.

لم ينتظر نيكولاس ليفكر فما رآه يعبر عن الوضع ابلغ تعبير. ادريان اوليفنت مغرم باخته وهو من سمح لها بالمجيء اليه خلسة في الليل، نون اي اعتبار او تفكير بسمعتها. هو من كان لديه خطيبة انكليزية معروفة جداً في المجتمع اللندني وتدعى الأنسة قاليري برايت.

فتح نيكولاس باب المرسم وقد اعماه الغضب وصب جام غضبه على ادريان اوليفنت. وبدأ ينهته نغوت مهينة ومنحطة. غطت افروديت وجهها ثوراً وشبهت بالبكاء بينما بدا السيد اوليفنت مذهولاً ومتفاجئاً. وحاول التفسير

لنيكولاس انه يرتكب خطأ فادحاً فيما يعتقد. لكن حين التفت نيكولاس الى افروديت رمت بنفسها بين ذراعيه واعترفت انها متبسة في حب السيد اوليفنت وانه هو من طلب اليها المجيء الى هذا الليلة. نفى ادريان ذلك بذهول وارتياب.

وقال: «قولي له الحقيقة يا افروديت.»

لكن كل ما رددته افروديت كان قولها انه هو من طلب اليها المجيء الى هنا.

ولم ينتظر نيكولاس سماع المزيد من اي من الطرفين، بل سار نحو اللوحة شبه المنقوشة ومزقها ثم التفت الى من رسمها قائلاً: «لن تأت اختي الى هنا مطلقاً بعد الآن. واعلم ان صداقتنا ماتت منذ هذه اللحظة.»

متذ ذلك الحين لم يعبر اياً من عائلة اليفنتون بوابة فيلا فينيشيا. وعرف كل اهل كيرينيا بما حصل وصار الجميع يتحاشى السيد اوليفنت الذي كان يوصا ما محبوباً وشعبياً في البلدة وتضاعفت الحماية وتززت الرقابة على افروديت من نيكولاس والجدين منذ ذلك الحين.

ثم انتشرت إشاعة اخرى في الجزيرة، مفادها ان الخطيبة الانكليزية سمعت بما حدث وفسخت خطوبتها من السيد اوليفنت. وبعد ذلك لم يعد احد في كيرينيا يشاهدها. واخبرت نيتا، خادمة السيدة اوليفنت، صديقاتها ان المرسم قد اغلق منذ ذلك الحين ولم يعد السيد اوليفنت للرسم ثانية ابداً.

بالنسبة للعقلية الصارمة والتقليدية للفتى اليوناني وعائلته فقد تصورت افروديت بسوء واخطأت لكن السيد اوليفنت هو المسؤول عن ذلك. وتلك نهاية القصة.

تلك كانت القصة التي يعرفها نيكولاس اليستون، ورغم مرور خمسة أشهر على تلك القصة إلا أنه لا يزال يذكر كل تفاصيلها وكأنها حدثت الآن للتو. لكنه أحترم رغبة لوسي بعدم التحدث عن السيد أوليفنت.

كانت بقية النهار ممتعة جداً للوسي. فقد جففت افروديت دموعها وقررت أن تكون ودود، ولأن لغتها الانكليزية كانت أقل بلاغة من لغة شقيقها كان يضطر نيكولاس أحياناً للعب دور المترجم بينهما. وكان أيضاً خير دليل سياحي.

لم يسبق للوسي أن شاهدت أثراً قديماً بمثل هذه الروعة. تنهدت لوسي وقالت: «المكان رائع الجمال هنا، ويضخ بالسلام والسكينة».

هز ايريان كتفيه وقال: «رايت المكان مئات المرات، كنت أشي وافروديت للعب هنا حين كنا صغاراً».

«متى تم بناؤه؟»

«في القرن الرابع ميلادي».

«منذ القرن الرابع!» هتفت لوسي بدهشة.

استدارت لوسي نحو افروديت وسألتها: «إلا يثير هذا اهتمامك؟»

ردت الفتاة الشابية: «لا. بالنسبة لي هذا المكان حزين فأنا لا أحب أماكن الآثار».

ضحكت لوسي معقبة: «ولا أنا أيضاً».

أخرجت لوسي آلة التصوير وقالت: «أرغب بالتقاط صورة لكما هنا، قفّا قرب الأعمدة لو سمحتما».

وقبل نزولهما عن التلة والمغادرة ترك نيكولاس افروديت برفقة لوسي وذهب لمحادثة المسؤول عن الموقع الأثري.

سُمت لوسي للفتاة وقالت: «قد تأتين لزيارتي في يوم ما يا افروديت».

عبرت الدهشة على وجه الفتاة وتوردت وجنتاهما ثم قالت: «لا يمكنني الذهاب الي فيللا فينيشيا».

عصت لوسي شفتيها السفلى: «أه... فهمت...».

أنسة... أنسة... أرجوك... هل تريه؟ هل سيتزوج قريباً؟

سألت لوسي عن السؤال الثاني فقط قائللة: «هو لن يتزوج حالياً حسب علمي! لماذا هل لديه خطيبة؟»

تلاّت الدموع في عيني افروديت وقالت: «كان خاطباً...».

كهم يقولون الآن... أن كل شيء انتهى بينهما».

فهمت.

رجوك يا أنسة، هلاً أخبرته شيئاً عن لسانتي؟

خبره ماذا افروديت؟

قولي له فقط... انني اذكره...».

سحرت لوسي أن هذا دليل على سر حميم. وقد شكرت حبها لوصول نيكولاس وتوقفت افروديت عن الكلام.

سألت لوسي بعد ذلك الي الفيللا.

بعقل أنه كان هناك علاقة حب بين مخدومها وبين افروديت؟ وماذا عن تلك الخطيبة المفترضة؟

بموض يزداد، فكرت لوسي وهي تدخل باب الفيللا نجد ايريان أوليفنت جالسا في الصالون مع والدته.

الفصل الثالث

حيث السيدة اوليفنت لوسي بحرارة.

«تعال يا عزيزتي، اظن الشاي قد برد لكن اطلبي من لوكاس اعداد ابريق آخر لك. اليس هذه مفاجئة مذهشة؟ كان ولدي في القاهرة وقد مر بي ليراني قبل زهابه الى اثينا.»

ظلت لوسي واقفة بخجل مكانها مدركة لمدى تشعث شكلها بعد رحلتها الاستكشافية. فرغت نظارتها وتمتمت مرجحة بأدريان: «آه، اهلاً... اعذرتي، لكن علي الذهاب لتغيير ملابسي.»

جلس ادريان مجدداً وهو يشعر ببعض التسلية. لوسي التي شاهدها الآن تختلف تماماً عن الفتاة المتزمته التقليدية التي احضرها الى هنا لتكون مرافقة والدته. استدار الى والدته وسألها: «إن الأنسة غريشام هذه ناجحة في عملها؟»

«نجاحاً باهراً يا حبيبي، هي حقا افضل كثيراً من النمساوية لينتل، فالأخيرة لم تكن تقوم بالكثير لاجلي، لكن لوسي متعلمة أكثر وصلبة أكثر بكثير ايضاً.»

«والألم ليس قوياً هذه الايام امي؟»
«الوضع على حاله يا حبيبي، لكن لدي الكثير لأكون شاكراً لله.»

«حين نتكلمين بهذه اللهجة اشعر ان الدنيا كلها بخير.»
انحنى والدته نحوه ولامست وجهه بحب وقد لون الحزن

عينيها وسألته: «الم تجد راحة البال بعد يا ادريان؟»
ابتعد عن تلك اللمسة وتلك النظرة قائلاً: «أنا بخير يا امي، انا سعيد كونك مسرورة ومستقرة، فهذا هو كل ما يشغل بالي.»

فتح الباب ودخلت لوسي، راقبها ادريان وهي تدخل فيما هو يستدير للجلوس قرب والدته. كانت جميلة ونظيفة ثانية وهي ترتدي ثوباً زهرياً من الحرير. تذكر قولها له عن الألم في عينيها جراء عملها في السفارة، لكن يبدو ان اسابيعها الثلاثة هنا قد شفت هذا الألم وعاد البريق واللمعان الى عينيها.

سألها: «أذن الازلت مغرمة بالجزيرة؟»

أكثر وأكثر، انها مكان خلّاب يا سيد اوليفنت.»

لوسي لا تشعب مطلقاً من السير والتمزّه على الاقدام. تابعت السيدة اوليفنت بمرح «اظنّها قادرة الآن على كتابة موسوعة كاملة عن كيرينيا.»

أفنتك شاهدت بيلابيس وهيلاريون؟»

كنت في بيلابيس هذه الاسبعة.»

حقاً، انه مكان اقري جميل.»

اعترفت لوسي لنفسها ان السيد اوليفنت يثير في داخلها بعض الحيرة، فبعد الملاحظات ذات المعنى التي قالها عنه آل اليستون وبعد رد فعل كل امالي كيرينيا، لازالت تشعر بوجود خطأ ما؛ وطبعاً لا شيء سيجبرها على نقل تلك الرسالة الغامضة عن غروديت اليه.

كانت وجبة العشاء ممتعة فعلاً. ولاحقاً فيما كان يحقسي قهوة مع والدته، قامت لوسي بالعزف لهما على البيانو. وقد اطفأ لوكاس الانوار مبغياً على الشموع المتوسطة

الإضاءة، وفيما كانت لوسي منشغلة بالعزف، جال نظر ادريان نحوها خلف البيانو الخقم وبشبه امتنان كان يستمع للنعيمات، فالغفلة كانت تعزف بالطريقة التي يفضلها بالضبط، بلمسة رقيقة، بإحساس عميق وبموجهة غليظة صرفة.

وتدريجياً سيطر الاحساس بالسكينة على كل جوارحه. ثم فجأة أصبحت الموسيقى رومنتية بشكل لا يحتمل. كره ادريان ذلك وقاطعها دونما سابق انذار قائلاً: «شكراً لك، لكن يكفي هذا. أنا خارج لتنشق بعض الهواء النقي.» نهضت لوسي وقد غمرها الخجل.

«أنا بالغة الأسف، لقد عزفت لفترة طويلة...»

«على الإطلاق يا عزيزتي، فالعزف والاستماع للموسيقى كان ممتعاً وأنا واثقة أن ولدي استمتع بذلك فعلاً.» قالت السيدة أوليفنت ذلك ورمت ادريان بنظرة مؤتمة.

«تعزف الأنسة غريشام بطريقة جيدة جداً، سامحيني لو تركتك الآن فأنا بحاجة للتنزه خارجاً.»

ثم رحل. سارت لوسي ببطء نحو السيدة وقالت: «أخشى أنني بالغت في العزف لفترة طويلة، لكنني لم ألاحظ مرور الوقت.»

«لا يسعك أبداً العزف لفترة كافية بالنسبة لي ولا تهتمي لا دريان، فهو شخص غريب الأطوار.» ابتسمت بحزن متابع: «يصعب علي أنا أنه فهمه أحياناً، لكنه مرّ بالكثير من المتاعب في السابق.»

عضت لوسي على شفتيها، تلميح آخر لماضي السيد أوليفنت الغامض. متى ستعرف بعض الحقائق؟ ثم وباندفاع عفوي سألت لوسي السيدة أوليفنت: «أنا...

لا أريد إخفاء الأسرار عنك سيدة أوليفنت. لكن أحدهم في كيرينيا ذكر أن للسيد أوليفنت خطيبة، فهل تجديني مفضولة بسؤالك عن ذلك؟»

«لك كل الحق بسؤالي عن ذلك الآن بعد أن أصبحت فرداً من العائلة، بالطبع الناس في مجتمع صغير مثل كيرينيا يعيشون الثروة والأقارب. لكن... ولدي غير مرتبط. كانت له خطيبة فيما مضى، أما الآن فلا.»

«شكراً لك لأضلاعي على ذلك.» ردت لوسي بارتباك، وأدركت أن ذلك الجزء من قصة أفروديت كان صحيحاً!! ساعدت لوسي السيدة أوليفنت بالخلود إلى الفراش ثم عادت وحدها إلى الصالون وهي تشعر بعدم الراحة. لا يمكنها الخلود للنوم بدورها بعد.

جلست وأغمضت عينيها، لا شك أنها غفت بعمق فحين تنهضها لاحقاً صدمت لوجود ادريان واقفاً أمامها وعيناها تنظراتها بإقتسامه شبه ساخرة غمرها الخجل والارتباك ونهضت قائلة: «آه أسفة...»

«علام؟»

«لا يجدر بي النوم هنا.»

لمست ممسوحة من النوم إذا ما شعرت برغبة في ذلك يا فتاتي الصغيرة. لكن الوقت تأخر أنها العادية عشرة والنصف. استغرقت نزهتي ساعة ونصف.»

نظرت لوسي إلى ساعة الحائط بدهشة وقالت بصدمة: «آه! كم تأخر الوقت.»

علي القول أنني مستعد للنوم الآن. علي فكرة لا تعتقدي شي لم استمتع بعزفك الليلة، أخشى أنني كنت فظاً بعض

الشيء، لكن طريقتك في العزف اعجبتني كثيرا حقا. عزفك جيد يا لوسي.»

وقفت امامه وقد جف ريقها هذه هي المرة الاولى التي يناديها فيها باسمها الاول.

عاد ليسأل: «اخبريني هل التقيت بالكثير في كيرينيا؟» اجابت: «بعض اصدقاء السيدة والدتك. وفتاة انكليزية كنت اعرفها في السفارة في القاهرة والتي بغيت هنا ليرمين فقط في طريقها الى جزيرة بلا تراس.»

«تلك الجزيرة رائعة في الصيف.»
«وطيعا بدأت بالشعر على بعض الاهالي المحليين، القبارصة.»

«حسنا، انت بحاجة دون شك لرفقة شابة بين الحين والآخر فانت لن ترغبين بقضاء كل وقتك مع والدتي لكن لا نعمقي صداقاتك مع ابناء الجزيرة بل ابقيها سطحية قدر المستطاع.»

ردت لوسي قائلة: «لكني اجدهم رائعين.»
«قد يستغلون تلك الصداقة، وهذه عادة مألوفة لديهم.»

شعرت لوسي برغبة جامحة في معارضته فقالت: «آه، حقا، انا لا اجدهم كذلك مطلقا، اعتقد القبارصة اكثر الناس تهذيبا واحتراما.»

اجابها بحنق: «اظنني اكثر معرفة لهم منك ما كنت لاصادقهم بحقي، هذا ما اقول، وهذا ما اصر عليه.»
كرهت لوسي ثبرته هذه وتدخله في شؤونها الخاصة، فاجابته:

«لقد تصادقت مع شخص محلي جيد ومهذب اليوم، وهو يمتلك فندقا ما، اصطحبني الى بيلابيس وعرض مرافقتي

الى سانت هيلاريون ايضا، ولا ارى مانعا من السماح لك بذلك فاننا وحدي من اختار اصدقائي.»

وقور انتهانها من كلامها رأت نظرة التاك المربعية في عينيه، وعاد للقول بغضب: «ومن هو هذا الشخص الذي يعرض خدماته كدليل سياحي؟»

خانتها شجاعتها وتدمت على الانجرار الى هذه المحادثة، كتبها وحدها الملاحة بهذا

هو يملك فندقا على الطريق المؤدي الى بيلابيس. واسمه بيكولاس اليستون.

عم الصمت المطبق، وكأنها اطلقت رصاصة مدوية داخل الغرفة الهادئة، جمد اللحظات ثم قال:

لا يسمح لك تحت اي ظروف من الظروف دعوة بيكولاس اليستون او شقيقته او اي من اصدقائهما الى فيللا فينيشيا، ولا يجدر بك تكرار اي من اسمائهما امام والدتي، اري موضوع ان لا سلطة لي على شؤونك الخاصة وعلاقاتك، لكن لي مطلق الحق باختيار من يدخل منزلي.»

ردت لوسي بحرارة:

لا نية لدي بدعوة اي منهما الى هنا، ولا يذكر اسمائهما امام السيدة والدتك، اذا اعتقدت ان ذلك سينعجها.

اجل سينعجها، والاكثر من ذلك، انصحك بالآ تكون لك اي صلة بالاليستون هؤلاء.»

سألت لوسي بعناد: «لماذا؟»
هذا شأني الخاص.

لا يل شأننا ايضا، انت تطلب مني الابتعاد عن هؤلاء الاشخاص الذين اجدهم ودودين.»

فتح ادريان اوليفنت فمه ليقول شيئا، الا انه وبتعبير نفاذ

ضبر غاضب استدار وغادر الصالون مغلقاً الباب خلفه. لم تشاهده ثانية بعد ذلك، فقد ترك الغيللا وذهب الى اثينا قبل نزولها الى الطابق السفلي صباح اليوم التالي. ليتها لم تذكر اسم اليستون لادريان، فقد بدا السيد اوليغنت يقلق راحة بالها.

كلما فكرت بالامر اكثر وهي تتابع اعمالها الروتينية في الغيلا بذلك اليوم المشمس، سارعت اكثر فاكثرت الى الاستنتاجات المتسرعة.

واحدى تلك الاستنتاجات كانت ان السبب وراء كره ادريان لنيكولاس انه كان مذنباً حقاً في حق افروديت، لكن ما دور خطيئته السابقة بكل هذا؟ ماذا عنها؟ وكأن القدر كان يستمع لسؤالها فقد عرفت في ذات اليوم المزيد عن ماضي ادريان اوليغنت.

فبينما كانت تمشي في الحديقة بعد الغداء، وصلت الى غرفة كبيرة مغلقة في الخفاء الخلفي هذه غرفة رسم ادريان اوليغنت اخبرتها والدته انه هجر الرسم منذ نقل مكتبه الرئيسي الى اثينا. مع ان اللوحات التي رأتها لوسي له والموجودة في غرفة نوم والدته تظهر موهبته الفذة وحسه الفني الرائع والمخبيء تحت مظهر «رجل الاعمال الحازم».

لاحظت لوسي ان مصراع احدى النوافذ الحشبي كان مفتوحاً كلياً. فاسرعت لوسي الى الحارس وسالته عن ذلك.

قال بدوره انه لاحظ ذلك واقترض ان السيد دخل المرسم هذا الصباح وتسي اغلاق الحارس. لدى السيدة الأم مفتاحاً اضافياً.

ذهبت لوسي الى السيدة اوليغنت واخبرتها بذلك. «الافضل لي الذهاب واغلق مصراع النافذة الحشبي، اليس كذلك؟ الغرفة في اسفل المنزل وقد تغري اي لص بالسرقة».

وانقبتها السيدة اوليغنت على ما تقول واعادت على مسامعها ما قاله الحارس. الارجح ان ادريان دخل المرسم قبل سفره وتسي اغلاق النوافذ. اعطت المفتاح لوسي وقالت:

انهي واقفليه يا عزيزتي، لكم تصنيف متابعته لهواية الرسم. فهو فنّان حقيقي وموهوب».

بعد لحظات قليلة كانت لوسي تقف وحدها وسط المرسم كان الضوء المنبعث من النافذة يضيء الجدران البيضاء المغطاة باللوحات الزيتية العديدة، ويظهر الطاولة المليئة بالألوان ومعدات الرسم، وحامل اللوحات وسط الغرفة والكنبة الكبيرة. بشعور غامض من الإنارة سارت لوسي سبطاً داخل المكان متفحصه كل تفاصيله.

لاحظت ان معظم اللوحات المتناثرة على الجدران كانت صوراً لأشخاص.

رأت لوحتين كبيرتين وجههما للحائط فشعرت برغبة رؤيتهما، فرقت الاولى، تسارعت نبضات قلبها، شعرت نجاة بالحر الشديد وبالخفية حملت اللوحة الى النافذة حيث الإضاءة افضل.

كانت هذه لوحة لافروديت، الغتاة اليونانية الجميلة. كانت استلقية على الكنب الطويلة والشار الاسباني على كنفها وفي اذنيها قرطين من الذهب البراق.

حدقت لوسي باللوحة لفترة طويلة، ثم تناولت لوحة اخرى

والخري والخري كانت جميعها لا فروديت، افروديت بملابس مختلغة ومزاجات متنوعة، لكنها كلها رائعة وجذابة وفقت لوسي تحديق في اللوحات ثم ادركت بلحظة جنونية انها تشعر بالغيرة "الغيرة من جمال الفتاة اليونانية" الغيرة من اهتمام اديان بها فبعثا مضى الغيرة من الساعات التي قضياها معا هنا اثناء جلسات الرسم "الغيرة؟" لكن لماذا؟ سيظهر الرعب على لوسي فجأة فاستدارت على عجل مغادرة المكان بعد ان اقلفته جيذا

وجدت نفسها تحديق في وجه اديان الغاضب امسك بذراعها وسمعت صوته الهادئ الخبيث يقول "ما الذي كنت تفعلينه في الداخل؟ تركت اوامر تقضي بعدم اقتراب احد من تلك الغرفة بالذات."

شعرت بدعشة وتميمت: "أوه، ظننتك... غادرت."

"هذا ما يبدو جليلا، من اعطاك المفتاح؟"

"والدتك، تركت مصراع احدي النوافذ مفتوحا تماما وكان باسكان اي كان التسلل الى الداخل، كان علي الذهاب لإغلاق النافذة."

اختفت ملامحه الغاضبة وقال: "اذن هكذا هو الامر."

"نعم والآن اعتذر مني فورا." اصرت لوسي بطغولية:

"انت حقلا لا تطاق حتى كأنك تتهميني بسرقة المفتاح للتسلل والنظر الى مرسلك."

فجأة بدا وكأن عينيها الغاضبتين ووجهها المتورد يظهران تسليته، فقد ضحك وقال:

"يا لك من فتاة نارية لكنك محقة تماما، انا لا اطاق فعلا واعتذر عن ذلك، في الحقيقة يا لوسي اتيت الى هنا من نيقوسيا بنية الاعتذار منك عن ليلة البارحة " أوه، لا، تابع

بسرعة حين رأى جحوظ عينيها بغير تصديق: "لا تتحبنى انني الغيت رحلتي لأعود واعتذر منك، فأنا لن افعل ذلك قطعا، لكن بوصولي الى نيقوسيا علمت بتأخر رحلة طيراني بضع ساعات بسبب عطل ما في الطائرة. لذا ففضلت العودة وقضاء هذا الوقت هنا لا في المطار."

"كي تنصرف بقطاظة معي كما هي عادتك."

قال ضاحكا: "اثرت غضبي ليلة البارحة جراء ذوقك الرديء باختيارك ال اليستون كأصدقاء لك."

"ذوق رديء؟ ذوق كان لك مثله في السابق اليس كذلك؟"

"هذا صحيح، لكني اريدك ان تعرفني ان لوي اسبابي المنطقية لتعت ذلك الذوق بالرديء."

"هل من داع لقلقك من الصداقات التي قد اقيمها في الجزيرة؟ طالما لا اسأل الناس هنا عن حب او تكره انت او والدتك، الست حرة في التعامل معهم، ان لم اكن حرة فأرجوك ابلغني حتى اعيد صياغة افكاري حول وضعي في هذه الوظيفة، انا معتادة على التمتع بحريتي الشخصية."

مز كنتفيه قائلاً: "يا له من خطاب مميز عزيزتي لوسي، لك الحرية باختيار اصدقائك، لكنني أسف لا اختياريك ال اليستون، هذا كل شيء."

بقيت صامتة، فتابع هو يقول: "المكان شديد الحرارة هنا وانت لا تعتمدين قبعة، اعطيتي المفتاح لوسي، تعالي الى المرسوم وحدثوني لبعض الوقت."

تبعته لوسي وقد خامرها شعور مثير.

فتح كل النوافذ والمصاريع سامحا لكل ضوء النهار بملء الغرفة الكبيرة. جال نظره بما حوله، ثم نظر اليها

بابتسامة ساخرة: «انت تتقنين يا عزيزتي في عرين رجل اراد ان يصبح قباناً مشهوراً. وهو الآن صاحب ومدير شركة شحن ملاحية مهمة جداً. مضى على وجودك في الجزيرة اسابيع قليلة. ألم تسمعي همساتهم عني وعن الوحش البغيض الذي كفتته، أو الذي لا زالت عليه؟ ألم تسمعي؟»

اعترفت قائلة: «صحيح ان الناس تثرت يوماً، لكن هذه هي حال الجميع، الجميع معرض للانتقاد في مثل هذا المجتمع الضيق هذا خاصة حيث يكون الشخص شخصية مهمة مثلك.»

استدار وواجهها متسائلاً: «لماذا انا شخصية مهمة يا لوسي؟ ما الذي فعلته في عيون القبارصة؟ لدي المال والسلطة لأنني صاحب شركة شحن اسسها والدي ودعمها بالنجاح لسنوات. اردت ترك العمل والتفرغ للرسم. اردت التوايما الطيبة من اصدقائي والحب والثقة ممن كانت ستصبح زوجتي. وعلام حصلت؟ انت اخبريني لا شك انهم اخبروك. لا بد انك تعرفين ما يقولون عما يعتقدون انني سبق وفعلته في هذه الغرفة.»

ازاح الألوان والادوات عن الطاولة بحركة غضب وتناثر كل شيء على الارض بصوت قوي. نظرت لوسي الى كل تلك الاشياء بجحود. لم يكن لديها أدنى فكرة عما يجب عملها قوله أو فعله.

سمعت صوته ثانية وهو يقول:

«انا اخيفك اليس كذلك يا لوسي؟ عليك ان تسامحيني اظنني غاضباً بعض الشيء. ستترك الامر عند هذا الحد، حسناً؟»

تم وجدت لوسي بدورها صوتها وقالت: «لن اقول ان بك اي من من الجنون. وايضاً انت لا تخيفتي.»

هذا يقرب دهشتي.»

لماذا؟ هل تريد فعلاً ان تخيفني؟»

رفع نظره اليها، واضح انها لا تشعر بالخوف.

«مع نفسه يقول لا ارادياً.» انت فعلاً لطيفة جداً، لوسي كما وانك تتمتعين بالشجاعة والجرأة.»

«وانت بدورك لطيف ايضاً فقط حين تريد. لكن يمكنك ان تكون...»

الذي جعلتها قانلاً: «وحشاً.»

هذه بالاحرى كلمة مبالغ بها.»

«انت حريصة جداً وتقومين بوزن كل كلمة قبل التفرغ بها.»

اجابته قائلة: «اظن ذلك.»

لكنك لم تخبريني بعد بما سمعته عني.»

اتريد ان تعرف حقاً؟»

«لا، لا أريد حقاً لما يقولونه او يخفونه في كيرينيا. انتهيت من هذه المسألة تماماً كما انتهت هي مني.»

«أه، هذا غير صحيح! لا يمكنك الانتهاء من هكذا مكان رائع.»

«جزيرة الحب؟» قال بضحكة ساخرة: «شكراك بامكانك الاحتفاظ بكل اوهامك حول الجزيرة وحول كل شيء

بالنسبة لي انها جزيرة كئيبة.»

انت لا تعتقد ذلك حقاً.»

لن اوضح السبب الآن. سنعتقد اتفاقاً معاً. انت تخافين اصدقائك ولن اعلق على ذلك ابداً، شيء واحد فقط يشير

قلّقي، لا أريد لامي أن تشعر بأي انزعاج أو امتعاض جراء أي قصة قد تسمعيها عني..»

سارعت لوسي للقول بصديق «لن أقوم مطلقاً بترديد أي شائعة أو تميمية على سامع السيدة أوليفنت العزيرة..» رقت ملامح ادريان وسألها: «أنت تحبينيها ليس كذلك؟» «أظنها امرأة غير عادية..»

«وأنا كذلك أيضاً..» وافقها: «المكان هنا يلائم صحتها وقد عبرت عن رغبتها بالبقاء هنا.. وهنا ستبقى رغم كل ما يعنيه ذلك من تعب وإرهاق لي نظراً لكون اعصالي كلها خارج هذه الجزيرة. وأنا حقاً ممتن للحب الذي تظهرينه لها. لم تكن يوماً راضية كما هي الآن تحت رعايتك، أشعر أن هذه تضحية من جانبك، فالمكان ليس مرحاً جداً لك هنا..»

«تعلم جيداً أنني بالغة السعادة..»

تنهّد قائلاً: «آه، حسناً، سأذهب لرؤية امي. انسي هذه المحادثة يا لوسي. تعالي، لا أريد البقاء في هذا المكان لواقعة أخرى. أفنتني سامر بحرقه..»

«لا يجب أن تفعل ذلك، من المؤسف أنك لم تعد ترسم قلوباً رائعة و...» توقفت بارتباك.

«أنت لوسي الصغيرة كانت تنظر إلى اللوحات..»

«آه... أنا... أمل ألا تمانع في ذلك، فقد نظرت إلى بعض لوحات الأشخاص هنا..»

«حشورية المرأة المعتادة..»

شاهدت ادريان يتجه إلى كومة من اللوحات ويركلها بقدمه. واحدة تلو الأخرى، تناثرت على الأرض، ووجهها إلى الأعلى. وجه أفروديت بكل جمالها وقنيتها.

قال: «صديقة حميمة سابقة لي. اليس هذا ما أخبرك إياه هالي كيريفيا؟»

رنبتك لوسي فأضاف: «لا تهتمي. اتفقنا ألا نتحدث عن ماضي، كنت اعتقد أن هذه اللوحات جيدة. أفروديت بلا ثوب، بلا عقل..» وركل ثانية اللوحة وهو يضحك.

جمع ادريان اللوحات واحدة تلو الأخرى وكومها في إحدى روائها.

صرخت لوسي به: «لا تدمرها ارجوك..»

ولم لا؟ فقد دمرتها، سأجعلها وقوداً للمدفأة في المرحه القادمة التي أعود فيها للمنزل وستأتين وتشهدين على تلاع النيران لها..»

أنت مجنون! لا يحق لك تدوير الأعمال الفنية..»

وجهة أخرى كان وجهها للحائط، لوحة أكبر حجماً من كل الأخريات، سقطت على الأرض فجأة.

د يتحرك ادريان لالتقاطها. كان يشعل سيجارة أخرى. لا تعوريا أتجهت لوسي إليها وادارتها نحوها. اللحظة تعلقت بينهما بقوة بها. هذه لم تكن للفتاة اليونانية. كانت فتاة أخرى، فتاة من نوع آخر تماماً. كانت هذه قطعة فنية غير عادية.

في اللحظة التالية دفع ادريان أوليفنت لوسي جانباً وأعمل كعب حذاءه في اللوحة تمزيقاً وتحطيماً.

صرخت لوسي به: «لا، لا تفعل أيها المجنون..»

فلنقتني أحرقت كل لوحاتها. أفروديت شيء أما مي...»

لكلها لوحة رائعة، الأروع بينهم جميعاً..»

الأروع بينهم جميعاً..» ورد كلماتها: «أجل، هذا ما كنت اعتقده بدوري. كانت أفروديت بلا ثقافة أما فاليري

فكانت صبية واعية متعلمة ومثقفة. أفروديت كانت حمقاء، أما فاليري فلا. كانت شديدة الذكاء، لكن دون أي حس بالاخلاص والوفاء، كانت مخادعة بقدر ما هي جميلة؛ هناك بعض المبررات لما فعلته أفروديت، لكن لفاليري، لا... مطلقاً».

حمل أدريان اللوحة المحطمة وقال: «قابلي الآتية فاليري برايت، من كانت ستصبح زوجتي. هي الآن متزوجة من رجل أمريكي يفوقني ثراءً بعشرات المرات. وسمعت أن المال يعوضها تماماً عن القلب الجريح. انتهت خطوبتنا فور أن أخبرها أهالي كيرينيا عن علاقتي مع أفروديت والذي كما قالوا حدث هنا في هذا المرسى». هذا أدريان قليلاً وثابع: «آسف يا لوسي. لقد أزعجتك الآن كما أزعجت نفسي. قد أتعبك يوماً ما من مناقشة هذه المسألة بهدوء، ودون أي ضغائن، أما الآن فلا تتسرعي بالحكم عليّ مهما كان ما ستسعينه عني».

سار إلى باب المرسى وفتحها لها.

قال: «سأحرق بك بعد قليل يا لوسي. أخبرني والدتي بعددتي والسبب الذي دفعني للعودة من فضلك، وأخبريها أيضاً أنني في طريقي إليها على الفور».

الفصل الرابع

بعد شهر كامل وفي صباح حار من شهر يونيو اصطلحت لوسي السيدة أوليفنت إلى بقعتها المفضلة في الحديقة. مظلة في الطرف الغربي للحديقة تعلوها عرائش العنب وتحيط بها أشجار السرو فيما أسفها مباشرة تنتشر الأزهار الانكليزية الصغيرة المتعددة الألوان. اعطت لوسي السيدة أدواتها للكتابة واصلحت من وضع المساند خلف ظهرها فيما احضرت تيتا إبريقاً من الليموناضة الطازجة اليهما.

قالت بلائش أوليفنت: «أصبحت بلون الهنود الآن وقد كنت شاحبة اللون قليلاً حين أتيت الينا».

ابتسمت لوسي لها وودت قائلة: «أشعر بالراحة القامة هنا، في مصر الشمس حارقة عليك الاختباء منها. لكنني امسك الخروج تحت شمس كيرينيا هنا».

«حسناً، هذا يسعدني حقاً يا عزيزتي، لكن لا تنسي أن تعتمري القبة وسط النهار والنظارات الشمسية مع أن عينيك قد تحسنت كثيراً الآن».

صعدت لوسي بعد ذلك لإحضار ثوب سياحتها، فهذا هو يوم عطلتها، لم تعد دون اصدقاء هذه الأيام فقد أصبح لديها صديقين دائمين. هما فتاة أمريكية تدعى كارول وزوجها ديكس دكستر.

كان ديكس اغلب الاحيان خارج كيرينيا بدافع العمل وكانت كارول بالغة السعادة بصداقة لوسي.

السيدة أوليفنت احبت آل ديكستر بدورها. وقد استضافتهما مرتين الى العشاء في الفيلا.

لم يعد ادريان الى المنزل منذ اربعة اسابيع. ذهب الى اثينا ثم الى السودان لمعالجة مشكلة طائرة ما في العمل. كانت لوسي تسمع اخباره على التروام من والدة.

وادركت لوسي ان طموح نيكولاس الوحيد هذه الايام هو ان تعتبره صديقها المقرب. فمهما فعل ما كان ليرضيها. وكانت تزججه بصداها له حيث كان يصبح عاطفيا. وقد شجعتها كارول على علاقتها به.

«انت متمزجة وصارمة يا عزيزتي لوسي.» كانت كارول تخبرها. «تحتاجين الى علاقة حب كي تصبحي اكثر مرحا وانفتاحا، علاقة حب تطير بك عن الارض.»

«ليس مع نيكولاس بالطبع.»
«ولم لا؟» ناقشتها كارول «هو بالغ الوسامة، شديد اللياقة ولديه المال.»

ضحكت لوسي لكنها فكرت بكلام صديقتها، فقد ادركت يوما بعد يوم انها بحاجة لما هو اكثر من هذا. شيء حقيقي وملعوس يشهرها بأنها امرأة.

كانت ستتناول الغداء اليوم في فندق دوم برفقة كارول ثم سيأتي نيكولاس لاصطحبهما بسيارته الى قلعة هيلاريون.

سبق للوسي ان رأت سانت هيلارتون لكنها ما كانت لتكتفي من رؤية هذا المكان الرائع. فقد وجدته من اروع واجمل الاسكن في كل قبرص. قلعة خيالية على قمة الجبل تعلو عن سطح البحر الفني قدم.

كانت كارول مصرة على اجراء بعض التغييرات في شكل

لوسي الخارجي. وكونها فتاة امريكية عصرية فهي كانت تعرف كل الطرق والاساليب لذلك. فقد غيرت كليا نظرها لوسي الى الملابس، واقنعتها بعدم رفع شعرها ابدا ككتلة خلف رأسها. وقد ابدى نيكولاس اعجابه الشديد بمظهرها الجديد.

انتبهت من ارتداء ملابسها ثم وضعت القبعة والنظارة الشمسية وفق نصيحة السيدة أوليفنت العزيزة واتجهت نحو فندق دوم لملاقاة كارول وديكس.

كانت كارول بانتظارها في الفندق. تتحدث مع فتاة اخرى، لكنها نهضت وسارعت لاستقبال لوسي فور وصولها.

«اسمعي يا حبيبتي.» قالت كارول لها. «انظنين سيارة نيكولاس تتسع لشخص اضافي؟ اذا لم يكن ذلك ممكنا فاخشى انني مضطرة لالغاء مشاريعنا نظرا لوصول بعد الاصدقاء بصورة مفاجئة، فقد تم ارسال احد اصدقاء

ديكس في العمل الى قبرص لعقد اجتماع عمل مهم. اسمه بوب فاندرا لايت وهو شخص بالغ الاهمية وتستطيعين القول انه رئيس عمل ديكس. اني من الولايات المتحدة الى كيرينيا برفقة زوجته وسيبقيان هنا حتى آخر الشهر.»

ردت لوسي قائلة: «انا وافقة ان السيارة ستتسع فلا داع لتغيير خططنا.»

ابتسمت كارول وثابتت ذراع لوسي قائلة: «السيدة فاندرا لايت انكليزية، انها جميلة جدا. ستعجبك، وهي تعرف قبرص تماما فقد سبق لها زيارتها برفقة والدتها. لكن لسوء الحظ نقول انها تحمل عن الجزيرة ذكريات مؤلمة بعد ان مرت بعلاقة حب نعيسة بها. لكني اخبرتها

«أنا سنجعلها تسمى ذلك، وستضحكها على الدوام.»
 أنت من سيضحكها بالطبع بمرحك وخفة دمك...»
 ضحكت كارول لتعليق صديقتها وسارت بها داخل البيو.
 فجأة تجمدت الرماء في عروق لوسي تبعاً للمفاجأة
 والصدمة، فالمرأة التي كانت كارول تتكلم عنها قبلاً
 باسم السيدة فاندرا لايت... تعرفها؟! هذه هي ذات الفتاة
 صاحبة اللوحة التي مرّتها اديان بقدمه، انها هي... هي
 بعينها.

«فاليري هذه صديقتي لوسي غريثام.»

فاليري: السيدة فاندرا لايت هي فاليري برايت، فقد تزوجت
 الامريكى الثري بعد قسغ خطوبتها مع اديان اوليفنت.
 صافحت فاليري فاندرا لايت لوسي دون أي حماس. كانت
 مصافحتها من النوع البارد الذي أثار غيظ لوسي.
 استدارت لوسي الى كارول وقالت: «واثقّة من رغبتك
 بمرافقتنا الى هيلاريون، لربما تفضلين البقاء هنا مع
 اصدقائك؟»

«لا، بالطبع لا.» ردت كارول «سنذهب الى هناك معاً.
 ستعجب فاليري بها دون شك.»

تناولت فاليري الحقيبة الجلدية البيضاء الفاخرة
 عن الطاولة واخرجت منها مرآة وقلم تخطيط شفاف
 ذهبي اصلحت به اللون على قمها ثم تفحصت رموسها
 الاصطناعية والشعر المرفوع عن وجهها.

فجأة رفعت نظرها عن مرآتها باهتمام مفاجيء
 وسألت: «ما اسم هذا اليوناني؟»

اجابتها لوسي: «اليسقون، وهو يدير فندقاً جميلاً على
 طريق بيلابيس.»

التمعت عيناها وقالت: «نيكولاس، نيكولاس اليسقون؟ اذن
 هو لا يزال هنا.»

سألها كارول: «هل تعرفيته؟»

«اجل، هو وشقيقته الضفدة.»

حبست لوسي انفاسها، ما الذي ستسمعه بعد هذا؟ كانت
 محقة بشأن هوية فاليري اذن.

ضحكت كارول وقالت: «وما خطب افروديت؟ انها عجربة
 صغيرة بالغة الجاذبية، اين هي من وصفها بالضفدة؟»

«آه تلك قصة طويلة كنت آتي الى قبرص برفقة والذي
 كثيراً اناء خطوبتي.»

«كنت مخطوبة لشخص هنا في قبرص؟» سألت كارول
 باهتمام دون ان تلاحظ انها الوحيدة بين الثلاثة التي
 كانت تنصرف بمرح.

«طبعاً! لشخص يدعى اديان اوليفنت. اسبق رأيته؟»
 اطلقت كارول صافرة طويلة وقالت: «ادريان؟ حقاً؟ ذاك
 الرجل؟» ثم اظن للحظة ان فكرة الخطوبة واردة لديه تبعاً
 لطبعه الجاف! انه من النوع الكئيب النكدي. اعتقدته من
 العذاب الابديين، اكننت تعلمين انه كان مخطوباً في ما
 مضى يا لوسي؟»

كان وجه لوسي الصغير كالقناع، فقد عادت الى ذاكرتها كل
 الاشياء التي قالها اديان في مرسومه... «اجل كنت اعلم.»
 استدارت الان فاليري اليها وسألت: «وما الذي تعلمينه
 ايضاً غير ذلك؟»

نظرت لوسي اليها شراً وسألت: «اليس من الافضل لنا
 الذهاب للسياحة الآن ان كنا سنحظى ببعض الوقت قبل
 الغداء؟»

«بالطبع». وافقتها كارول فوراً: «هيا بنا الا تريدين مشاركتنا السباحة يا فاليري؟»

«لا شكراً، سأكتفي بالمراقبة».

قالت كارول لـلوسى بعدما ابتعدتا عن فاليري:

«اعتقدت فاليري ظريفة حين التقيتها للمرة الاولى، لكن مع الوقت بدأت تظنرتي اليها تغيير، لكن بما انها زوجة مدير ديكس، فعلى برأيي لنفسى، كيف وجدتھا ان؟»

«متعة للنظر لكني لن اقول انها لينة».

قالت كارول بتعقبة: «الذى اصدقاء في بلدي يعرفون فاندرايت ويقولون ان بوب مجنون بحب زوجته لايرفض لها طلباً، احياناً اعتقد ان هذا هو الصحيح في الحياة، ان تخطفي ما تستطيعينه منها والا تحبى احدا الا ذاك».

«انت لا تعنين ذلك يا كارول، فأنت تملكين قلباً طيباً داخلاً».

«طبعاً وهذا ما يوقعني دوماً في المشاكل». ردت كارول ضاحكة: «ماذا عنك؟» ثم تقولي ذاك اليوم انك تحسسين الاشياء بطريقة عميقة وعاطفية؟»

«ربما لكني افضل ان اكون كذلك رغم كل ما قد يحمله ذلك من ألم لي على ان اكون كالسيدة فاندرايت».

غطست لوسى بعد قولها هذا واضعة حدا لهذا الحديث.

ما الذى سيخوله نيكولاس حين يرى خطيبة اديان اوليفنت السابقة؟

حين ترجل الشاب اليوناني من السيارة متجهاً نحو الفتيات الثلاث خارج الفندق تقدمت فاليري عمداً وقالت: «اهلاً».

اهلاً يا نيكولاس. لم اتوقع رؤيتك مجدداً ابداً».

قال يجفاف: «اهلاً انسة برايت».

«انا الآن السيدة فاندرايت لقد تزوجت امريكا وقد وصلت الى هنا برفقة زوجي من الولايات المتحدة».

ظل نيكولاس يحدق بفاليري وعيناه تعكسان دهوله، لكنه كان مؤدباً ولم تشعر لوسى انه يحمل اي ضغينة ضد الانسة برايت.

قال: «هذه مفاجأة حقاً، عودتك للجزيرة».

«انا متفاجئة بدوري لوجودي هنا، وكيف هي شقيقتك؟» لوسى التي لازالت تراقب نيكولاس رأت عضلات وجهه تتقلص.

«بخير، شكر لك هي لم تأت معي اليوم لأن جدتي مريضة واضطرت للبقاء معها». شعرت لوسى بالتوتر يتقلص وتقدمت نحوها قائلة: «آه نيكولاس، أسفة بشأن جدتك، اليس من الافضل لك البقاء قريباً؟»

نظر اليها قائلاً: «لا بأس بذلك، فأفروديت تعطني جيداً بها، انها مشكلتها القديمة المتجددة، لا يظنها الاطباء ستعيش طويلاً، لكن ارجوك دعينا نستمتع بنزهتنا الى سانت هيلاريون».

حدق بها بحب صريح، كان متيماً بها حقاً وكان يتلهف لجعلها تقع في هواه، وجعل امنياته كانت الاعضاء بها واعطائها كل ما تريد.

وسر كثيراً لاصرار كارول على جلوس لوسى في المقعد المجاور له، وجلست هي والسيدة فاندرايت في المقعد الخلفي.

تبادلت لوسى مع نيكولاس القليل من الكلام اثناء الطريق، فقد انشغلت بالنظر الى الطبيعة، بعد التجول في انحاء القلعة جلس الجميع على الحشائش الخضراء ليرتاحوا.

وقررت فاليري التكلّم مع لوسي. وقد حانت لها تلك الفرصة حيث ذهبت كارول ونيكولاس للبحث عن نبتة بريّة نادرة تنمو خلف أسوار القلعة. أرادت لوسي مرافقتهما لكن فاليري نادتُها بكسل:

«ابق هنا وحارّفين»

بتردد اطاعتها لوسي. وادركت حتى قبل أن تبدأ فاليري الكلام أن الموضوع سيكون حول أدريان أوليفنت.

بدأت: «كيف حال أدريان هذه الأيام؟ أخبرتني كارول أنك مرافقة السيدة الكبيرة، أمل أنك تستمتعين بذلك. لكن شخصياً اعتقد هذا عملاً مملاً ومضجراً، فالسيدة معتلة الصحة كثيراً ومن حسن حظها أنها لا زالت تتنفس».

«أنا سعيدة جداً في فيللا فينيتشيا وأنا أحب السيدة أوليفنت كثيراً، أراها امرأة رائعة قلّ مثله».

«لم أمانع أن تكون حماتي. كانت تتوقع مني أن أكون زوجة فاضلة. لكنني لم أخلق لذلك فقط. لدي ما يكفيني الآن من المشاكل مع والدّة بوب».

قطفت لوسي بعض الحشائش بعصبية وهي تفكرُ يا لهذه الفتاة من شخصية بغيضة!

كررت فاليري سؤالها: «كيف حال أدريان؟»

ردت لوسي ببرود: «أنا لا أراه كثيراً، فهو دائم الانشغال بعمله خارج قبرص».

«لقد استلم شركة الملاحة بأكملها الآن، اليس كذلك؟»

«نعم، اظن هذا».

«وماذا عن الرسم؟ أنها من أفضل هواياته، كنت اقضي معظم وقتي جالسة أمامه كي يرسمني. هل شاهدت أي من لوحاته لي؟ أم أنه قد خباها بعيداً؟»

شعرت لوسي برغبة جامحة بصفع هذه الفتاة على وجهها.

«شاهدت لوحة واحدة لك فقط... قبل أن يحرقها السيد أوليفنت بلحظات».

هزت فاليري كتفها وقالت: «آه، حقاً فعل! لا بد أنه ما يزال مغرماً بي، لم ينسني تماماً بعد على ما اظن. حسناً، وهذه كان الملام بما حدث، في الحقيقة كانت المسألة بأكملها صدمة قوية لي».

«اظن عليك أن تعلمي أنني لا اعرف شيئاً عن حياة وشؤون السيد أوليفنت الخاصة، وما تقوليّه لا يعنيني بشيء».

فقالت: «أه مادمت لا تعرفين فدعيني أخبرك» وتجاهلت فاليري احتجاجات لوسي متابعة: «كنت مخطوبة للسيد

أدريان ولمدة ستة أشهر. كنت اقيم في مصر حينها. والذي كان يعمل في الجيش وكنا نعيش هناك معه. كنت أتي

والدتي إلى هنا لقضاء الصيف. هكذا قابلنا آل أوليفنت كنت يافعة وغفوية واعتقدت أدريان من حسن حظي وقد

وقع هو بغراسي على الفور. كان رجلاً فريداً، بموهبته الفنية. أدرك الآن أنني ما كنت لأكون سعيدة معه، لكنني

سمحت لنفسني بالانجراف في ذلك».

قاطعتها لوسي هنا وقد احصرت وجنتاها خجلاً: «صدقاً لا رغبة لي بسماع هذا...»

«بإمكانك معرفة ما حدث» قاطعتها فاليري متابعة: «أجروء على القول أنك سمعت أنني من ترك أدريان

ونسخ الخطوبة لكن العكس هو الصحيح، هو من فعل. فقيماً كنت في انكلترا معتقدة أن أدريان يتابع مسائل

حفل الزفاف، كان هو هنا يتصرف بطريقة مشينة مع تلك

الفلاحة، شقيقة نيكولاس افوديت. ضيطنهما نيكولاس في مرسم ادريان، لم يكن ذلك لانقا ايداء زوج المستقبل يعيث مع تلك الطفلة التي كان من المفترض انها تعمل فقط كعارضة له. انتشرت هذه القصة وغضب نيكولاس على ادريان وكاد يقتله. فيما ضجت الحكاية بين اهالي كيريتيا، وسمعت ان الاهالي كانوا ليطردوا آل اوليفنت من هنا لكن حبيهم للسيدة الوالدة منعهم من ذلك كونها باللغة الطيبة والكرم مع العديد من الفقراء هنا. لكن منذ ذلك الحين لا احد ممن يحترم نفسه يخاطب ادريان اويحارته». تجددت لوسي في مكانها، شعرت بقلبيها يفتفض بشدة بين اضليعها. لعل القصة حقيقية. لعل اللغز الغامض قد حل تماماً.

نيكولاس محق في غضبه وفاليري بهجره لكن الغريب ان من شعرت لوسي نحوه بالاحتقار في هذه اللحظة هي فاليري لا ادريان.

تابعت فاليري الحديث وكأنها تجد متعة في سرد كل التفاصيل. انتشرت قصة نيكولاس ووصلت الى مسامع احد معارف والدتي الذين يعيشون هنا، الجنرال جرايدر وزوجته. انه متقاعد الآن، هل القيت به؟

هزت لوسي رأسها بالموافقة فهذا الجنرال وزوجته يعرفان السيدة اوليفنت وقد تناولوا العشاء في الفيلا مرة من المرات.

«المهم فقد اعتقد الجنرال بوجوب اطلاعا على ما حدث وحيدنها فسخت خطوبتي على الفور»

ردت لوسي بدافع من اخلاصها لمخدومها وعدم اعجابها بهذه الفتاة: «وحطمت قلبك بذلك؟»

لم يظهر الانزعاج على فاليري بل على العكس قهقبت قائلة: «لا ليس فاليري برايت! ما كنت لادع ادريان اوليفنت بحطمني. في الحقيقة كنت قد بدأت اصحو من انهيارتي بفن ادريان وجديته المفروطة. كنت قد قابلت بوب للتو في القاهرة وبدأت اقتنع شينا غشينا انه من بناسبني اكثر. الآن لوسي، الا تعتقدين صدقا ان الزواج من ادريان يعني الكآبة والنكد؟»

اختفى اللون من وجه لوسي وغدت شاحبة، واشتعلت نيران الغضب في عينيها. فقد تذكرت وجه ادريان المعبذب وهو يمزق لوحة فاليري بقدمه. فحتى لو كان مذبنا، اما كان يجدر بخطيبته التي تحبه ان ترفض الاستماع لكلام الناس وتوب لمساندة خطيبها او على الاقل تستمع لروايته من القصة؟ نهضت لوسي على الفور وقالت بحزم: «الا يكفيما ما قلناه عن ادريان؟ لا اجد اي فائدة من تحريك الرماد. انت متزوجة من شخص آخر الآن. على كل حال ما حدث بينك وبين ادريان لا يعنيني اطلاقاً».

وصلت كارول ونيكولاس في هذه اللحظة بالذات وكانت كارول تحمل نبتة جميلة بورود زهرية لوحت لهما بها بسعادة قائلة:

«لقد وجدت كرزى! سيسر ديكس لهذا، فهو يعشق نبتة الفانوا هذه».

لاحظ نيكولاس على الفور نظرة الانزعاج في عيني لوسي وسأل: «هل من خطب ماء؟»

لا شيء، لكنني اريد العودة الى المنزل الآن لو سمحت. في طريق العودة الى كيريتيا عاد نيكولاس ليسألها: «انت عنزعجة من امر ما. اليس كذلك يا فتاتي؟»

«أنا بخير يا نيكولاس.» غمزت إلى المقعد الخلفي متابعاً «يسعهما الاستماع لما نقول.»

همس نيكولاس قائلاً «شعرت قيماً مضى بالأسى عليها، اعتقدتها تعرضت لسوء معاملة وعدم اخلاص، لكن طبيعتها ليست جيدة او لطيفة. وقد اكتشفت ذلك سابقاً أيضاً.»

لم تسأله لوسي كيف اكتشف ذلك، في الحقيقة لم ترغب بالتحدث عن فاليري، فالمسألة بأكملها كانت مزعجة.

اعاد نيكولاس لوسي إلى المنزل وقال لها: «إذا تحسنت صحة جدتي فأرغب باصطحابك أنت وافروديت إلى لارنكا الأسبوع المقبل. لدينا هناك احتفالات «كاتاكليمسوز» حيث يحتفل كل سكان قبرص بذكرى أفروديت، رمز الحب. سيكون هذا حدثاً رائعاً، وخاصة إذا رافقتني أنت إلى هناك. أرجوك لوسي اطلبي من السيدة أوليفنت يوم عطلة وتعال معنا.»

«سأفكر بالامر واعلمك. شكراً جزيلاً لك يا نيكولاس.» أمسك يدها طابعاً قبلة حارة داخل كفها.

شعرت بالاضطراب يعثيريها وسحب يدها سريعاً من بين كفيها.

«سأعلمك بشأن لارنكا، إلى اللقاء وأمل ان تتحسن حالة جدتك.»

الفصل الخامس

تحدث نيتشا الباب لوسي وذهرت لرؤية التعبير على وجه الخادمة التي أخبرتها ان لوكاس ذهب للبحث عنها. «هل من خطي ما نيتشا؟»

اجل.» ردت الخادمة بسرعة. «اصيبت السيدة بشبه نوبة تلبية وهي ترتدي ملابسها بعد قيلولة بعد الظهر وقد تخلصنا بالمئيب.»

خفق قلب لوسي بشدة ذعراً وناحت: «يا للهول! حدث كل هذا وأنا لست هنا!»

ركضت مسرعة إلى الطابق العلوي والقلق يعمي نظرها. نصحة والددة ادريان كان شغلها الشاغل، ليس فقط بقاء المقاصل ما كان يقلقها بل ضعف قلب السيدة الوالدة. قال الطبيب ان نمط حياتها الهائىء والمريح هنا يمنحها سنوات عمر طويلة لكن جسدها الضعيف لم يكن قوياً كذاتية.

طلب الطبيب ان تتصلي به فور وصولك.» عادت نيتشا تقول وهي تصعد السلالم خلفها.

سندارت لوسي وهرعت نحو الهاتف. كلمات الطبيب الاولى اثارَت قلق لوسي، فقد أخبرها ان السيدة الكبيرة تعرضت لازمة قلبية وعليها البقاء في السرير حتى يصدر هو تعليماته بالمغادرة.

لكن ما مدى سوء حالتها حضرة الطبيب؟ وهل علي اخبار بنينا واحضاره الى هنا؟»

لحسن الحظ كان رد الطبيب بالنفي فمع ان المشكلة قلبية الا انها ليست خطيرة فقد عادت السيدة الآن الى طبيعتها بعد إعطائها الدواء المناسب ولا داع لإشارة قلق الابن وربية الأم بحال حضوره اعطى الطبيب لوسي بعض التعليمات... وكيفية اعطاء الدواء للسيدة اوليفت ووصاها بايقانها هادئة دون حراك لحين زيارته لهما.

وصعدت لوسي بعد ذلك لروية السيدة الأم.

«عزيزتي سيدة اوليفنت، سمعت ان امينتك كانت سيئة لا يجب عليك انتظار خروجي حتى تقويني بمثل هذه الاشياء. انا مستاءة جداً.» قالت لوسي هذا باقتسامة عتاب مقتربة من سرير المرأة المريضة.

ابتسمت لها السيدة اوليفنت بدورها قائلة: «اخشى انني اثرت دعر الجميع عزيزتي لوسي. لكن الامر لم يكن يستحق كل هذه الجلبة انه مجرد إغماء بسيط. وقد اعطاني الطبيب جونز الدواء وانتهى كل شيء.»

«لو انني فقط كنت هنا...»

«انا سعيدة انك كنت في الخارج. وأمل انك استمتعت بترهتك. أوكذ لك اتني بألف خير.»

لكن كلماتها لم تطمئن لوسي. فقد بدا لها ان انفاس السيدة اوليفنت متلاحقة وسريعة وشعرت بيدها جافة ومحمومة. وتمنت لو ان ادريان كان هنا.

ادركت السيدة ما يجول ببال لوسي البالغة القلق والخوف وقالت: «لا داع يا لوسي لاستدعاء ادريان او الاتصال به. انا بألف خير كما اخبرتك. هذه الازمة قد انتهت وسأبقى طريحة الفراش ليضعة ايام ثم سأكون بأحسن حال.»

على كل حال قد يأتي ادريان من نفسه نهاية هذا الاسبوع الى كيرينيا ورويتك له ستفيدك بالتأكيد.»

هذا صحيح. والآن اخبريني عن ترهتك.»

تذكر لوسي اسم فاليري. فلا فكرة لديها اطلاقاً عن كيفية رد فعل بلانش اذا عرفت بوجود فاليري خطيبة سها السابق هنا على الجزيرة.

صت لوسي تقرأ بصوت مرتفع للسيدة اوليفنت لمدة ساعة. ثم نزلت لتناول العشاء في الاسفل. شعرت لوسي بالكآبة وظلت تفكر بفاليري... متمنية لو ان آل فاندرا لايت لم يأتوا الى الجزيرة. كما وانها شعرت بالقلق على السيدة العجوز الحبيبة. تمنيت لو انها تملك الجرأة لمهاثة ادريان والطلب منه المجيء. اليس هو من طلب اليها اخباره فور حدوث اي طارئ لوالدته؟ وقد يقضب ان لم تفعل.

شعرت بالتوتر والقلق. كانت الفيللا هادئة جداً الليلة. قالت بيلا ان السيدة اوليفنت استغرقت في النوم فور انتهائها من العشاء.

حاولت لوسي قراءة قصة لكنها لم تتمكن من التركيز على كلمات. فقد ظلت تذاكر القصة التي اخبرتها بها فاليري. قصة خيانة ادريان لفاليري مع افروديت.

نحأة سمعت صوت سيارة تتوقف في الخارج فسارعت لتركض الى باب الدار وفتحته بنفسها كي لا يرن القادم حرس الباب ويزعج السيدة.

شرخت بذهول لروية القادم: «أه، هذا انت.»

سياسها بود وحرارة أكثر من العادة قائلاً: «مرحباً لوسي. من تقالجات لرويتي.»

خدا.

كان يحمل حقيبة صغيرة بيده فقط. فأمسك بذراعها ودخلا معا إلى الفِلا. وبتنويده رضى قال: «لكم تسعدني العودة إلى المنزل. علمي القول ان سعادتي لا تعود فقط لرؤية والدتي بل لرؤيتك أنت أيضاً. أنت جزء من العائلة الآن وجزء جميل وجذاب أيضاً.»

شعرت بجفاف في حلقها. فهي لم تكن معتادة على مغازلتها لها.

سألها: «حسناً، كيف تسير الأمور؟»

«لا... يأس.»

كانت تفكر بأفضل والطف طريقة لإخباره ان والدته تعرضت لنوبة قلبية. تنهد ادريان ثانية وتابع:

«لكم المكان هادئ ورائع هنا. كنت اعلم بك ذلك ليل نهار. وقد حللنا للتو المشكلة في الخرطوم.»

«الجل.»

«لا يزال الوقت مبكراً، انها التاسعة والربع فقط، سأغسل ثم اتناول العشاء. اطلبي من لوكاس اعداد بعض الطعام الخفيف لو سمحت.»

طأطأت لوسي برأسها وهي لا تزال مذهولة من وصوله المفاجيء، وشعر هو فجأة بتوترها.

«انا بحاجة للمقربين. كل ما كنت افكر به طوال الطريق من ليماسول الى هنا. هو قضائي بعض الوقت مع امي الحبيبة ثم تناول بعض الطعام واحتساء القهوة فيما انت تعزفين على البيانو مقطوعات لشوبان. هل لك ان تفعلي ذلك لاحقاً؟»

اشاحت بصبرها عنه. عليها اخباره توا عن والدته. تابع ادريان قائلاً: «في الواقع، لقد فكرت بالكثير من

المسائل وأنا في القاهرة وتوصلت الى قرار مفاده انني كنت عنادياً بعض الشيء وسأغير هذا قراراً. انوي البقاء لفترة اطول في المنزل هذه المرة. ربما لفترة اسبوعين. سأستمتع بعطلة حقيقية، وسأتعرف على اصدقاء جدد هنا في كيرينيا لم اكن لطيفاً مع صديقك الامريكية وزوجها في المرة السابقة. الا يزالاً هنا؟»

لوسي التي صغقت مما كان يقول اكتنفت بأن طأطأت رأسها بالإيجاب.

فأضاف: «حسناً، سنذهب معاً الى فندق الدوم لتناول العشاء معهما لاحقاً. ولم اذهب منذ سنوات الى لارتكا لحضور مهرجان أفروبيت، قد نذهب معاً الى هناك. على كل حال علي الذهاب الى فندق الدوم غداً لاجتماع عمل. وقد جاء الرجل معي في القارب اليوم.»

شعرت لوسي بالحرارة وبالجلود في الوقت ذاته. ففي ظروف اخرى كانت رغبة ادريان في تغيير عاداته وطباعه الجافة لتسعداها. لكن مجرد ذكره لفندق الدوم وتذكرها لغاليري مزايها بشدة.

لا بد انه سيراها هناك. هذه ستكون صدمة قوية له. في الواقع عليها اخباره بصدمتين اثنتين الآن ولا تعلم بأيهما تصدمه اولاً...

بدأ لوسي ان افضل ما يمكنها فعله في هذه اللحظة هو الابتعاد عن ادريان، وإيجاد لوكاس والطلب اليه تحضير «عشاء».

شاكي تكسب بعض الوقت اكتنفت برمقه بنظرة متوترة وشممت: «والدتك نائمة. الافضل الا توقظها الآن، سأعود بعد لحظات.»

اعطت الاوامر يشأن تحضير العشاء فيما عشرات الافكار تتزاحم في رأسها وهي تجوب المطبخ جيئةً وذهاباً تحت انظار الخدم الحائرة.

في النهاية كانت لوسي مضطرة للعودة الى الصالون. وقررت ان أفضل طريقة لقول اي شيء هي الطريقة المباشرة.

استدار فور دخولها وقال: «تعالى وانظري الى هذا. لا يسأم المرء ابداً من النظر الى هذا. ياله من منظرًا»

وقفت قربه ولحقت نظراتها اتجاه عينيه حيث خيال القلعة تحت ضوء القمر.

فتابع اديان قائلاً: «انت تبالغين في صحتك اليوم. هل لمجيفني تأثير سلبي عليك؟»

قالت: «لا، لكن الخشى ان علي اطلاقك على انباء سيئة»

تغيرت ملامحه على الفور وسأل: «ماذا؟ ماذا هناك؟»

«والدتك مريضة».

مسحت كلماتها كل اثر للمرح من وجه اديان اوليفنت.

«بم مريضة؟ منذ متى؟ ماذا حدث لها؟»

اخبرته عن تعرضها لنوبة قلبية ناعلة كل ما قاله لها الطبيب جونز حرفياً.

«تقولين انباء علي ما يرام الآن؟»

«نعم، لكن يجب عليها البقاء في الفراش لبضعة ايام اخرى كي تستعيد عافيتها كلياً».

رد اديان: «اجل، بالطبع».

سألها المزيد من الاسئلة وردت عليه بكل صدق ثم اضافت: «ارجوك لا تكن بالغ القلق هكذا اكد لي الطبيب انها ستكون على احسن حال بعد ان تغادر الفراش».

ثم يعمق وقال: «الحمد لله على ذلك».

الحويات القلبية ليست بالضرورة قاتلة».

«استطيع مجرد التفكير بحدوث اي سوء لها».

ان يعد ان اطلعت على الصدمة الاولى تردت باطلاعه على وجود فاليري. وخافت التسبب بالمزيد من الآسى لان لم له.

في خيره الليلة عن ذلك. بل ستفعل في الصباح.

نالت: «من فضلك تناول عشاءك وتوقف عن القلق».

سبح وسار نحو المائدة وقال:

«حسناً، طالما انك لا تخفين عني اي شيء. انا اشعر بالغضب في الواقع لعدم اتصالك بي في مكتب القاهرة».

«بالاغي بما حدث».

ردت ذلك بالفعل لكن الطبيب تصحني الا افعل. لقد حبرك بكل ما حدث بحذافيره. اؤكد لك انني لم اخف عنك

شيئاً بهذا الخصوص».

خرجت اساريده قليلاً وقال برقة: «آسف يا لوسي. اتيت الى هنا قاطعاً عهداً على نفسي الا انصرف بغطاظة وخشونة».

«واثق انك بذلت كل ما بوسعك لمساعدة والدتي وانا ستن جداً لك».

مرت نحو الباب فناداهما اديان قائلاً:

«هل ستخلدين النوم الآن؟»

ظرت اليه والاحمرار يعلو خديها وتمتمت: «انا، افكر بالعودة للنوم نعم...»

«من تبقي قليلاً للتحدث الي يا لوسي؟»

سببت بحال بقائها تطور الحديث الى نزعتها اليوم حيث ستضطر لذكر اسم فاليري وهذا ما لا تريده.

قالت بتردد: «من فضلك أعذرتي... أنا شديدة التعب، هل تريد شيئاً؟»

ابتسم بود وقال: «أنت تديرين هذا المكان بطريقة فعالة وعميقة...»
«شكراً لك...»

«يعا انني سأبقى هنا لبعض الوقت هذه المرة، فسأرعى أمي بنفسى وأراقب تحسن حالتها. وإذا سارت الأمور على ما يرام سوف أرتب أمر الرحلة إلى لارنكا. أنت ترغيبين بالذهاب إلى هناك أليس كذلك؟ المهرجان التقليدي السنوي يستحق المشاهدة ولو لمرة واحدة، وأنا واثق من حبك لهذه الأمور.»

«شكراً جزيلاً لك. وتصبح على خير» واختفت من أمامه قبل أن يتفوه بأي كلمة أخرى.

انتهى أدريان أوليفنت عشاءه بصمت، لن يزعم والدته حتى الصباح. ستسر حين تعلم ببقائه هنا لمدة أسبوعين. لكن ماذا بشأن لوسي غريشام؟ لماذا سارعت بالهروب منه الآن؟ هل السبب حقاً أنها متعبة؟ أم لأنها لا تحب رفيقها؟ هل فقدانها لأعصابه تلك الأمسية في الاستديو أزعجها؟ لن يتفاجأ أن كان ذلك صحيحاً، فقد تصرف كأحمق.

كان قد مضى وقت طويل منذ أسر إعجابه جمال فتاة ما، فذكر أدريان بحزن، وطارت أفكاره إلى ذكرى فاليري برايت! فاليري التي تزوجت من أمريكي وتقطن الآن على بعد آلاف الكيلومترات! هو لم يقدر على طرد ذكراها من حياته، فقد كان من الرائع في حينه الوقوع في غرامها لكنها كانت مجرد حص رائع دون قلب، مجرد جسد امرأة دون وفاء.

لكن ما الذي جاء بهذه الفكرة إليه الآن؟ عاد للتفكير لوسي وبالرحلة التي سيصطحبها بها إلى المهرجان وهو يخلد إلى النوم.

في السادسة من صباح اليوم التالي، وفيما الجميع نياماً، كان هو قد غادر الفيلا، كانت كيريونيا بأكملها تغط بالسبات باستثناء الصيادين بشباكهم وزوارقهم الباحثة من الأسفنج البحري وهذه واحدة من أهم الصناعات على جزيرة.

ما البحر بأروع حالاته. وشعر أدريان فجأة برغبة عارمة بسباح إلى النادي والسباحة في حوضه الواسع من النادي على التلة المجاورة للقلعة. كان المكان رائعاً وأدريان يستمتع بالسباحة هنا أكثر من أي مكان آخر في العالم.

سبح فجأة. غداً سأحضر لوسي الصغيرة للسباحة معي هنا.
لست المياه منعشة، باردة ورائحة. وشعر فجأة بالسعادة بجوهره هذا.

لحظة خرجت من باب النادي فتاة بثوب سباحة أحمر وسارت متجهة نحو الحوض. أغمض أدريان عينيه للحظات به فتحبها ثانية فيما بدأ تحجيان عن وجهه أشعة الشمس. ظل للحظات مجتهداً بها، وبدأ كأن قلبه ترتفع عن حلقان وشهق صاخفاً: «فاليري؟»

ترنعت فاليري فاندرا لايت محدقة بالرجل في حوض سباحة، بدت مذهولة ومثيرة، ثم التوى فيها بابتسامة سعة وقالت: «هذا أدريان الصغير؟»

سبح الرجل بضربات قلبه كأمواج البحر الهادر.

جلست فاليري قربه بعد أن خلعت صندالها وغرت قدميهما بالعباءة.

نظرت إليه قائلة: «حسناً، حسناً، إذن أنت في كيرينيا؟ ظل ينظر إليها كأنه لا يصدق حتى الآن وجودها أمامه. سأل أخيراً بصوت مبهوح: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

«أتيت للسباحة، فقد سحبني من فراشي زوجي وأصدقائنا، ديكس وكارول، انظرك تعرقهما. فقد اعتقدا أن السباحة في الصباح الباكر هي أروع ميزات هذا المكان.» «ما الذي تفعلينه في كيرينيا؟ عاد ليسأل ثانية.

«زوجي هو مدير عمل ديكس. وقد أتينا من الولايات المتحدة إلى هنا برحلة عمل التجارة مزدهرة هذه الأيام بيننا وبين قبرص، يا لهذه الصدفة، اليس كذلك أديان، فاليري الجميلة عادت إلى هنا؟»

لم يجيبها ولم يستطع إزاحة نظره عنها أيضاً. ظلت بدورها تحدق به بجرأة فقد تبدل كثيراً عما كان عليه، فكرت فاليري، فبعض الشعيرات البيضاء كانت تزين مفارقة وزاده ذلك جاذبية ووسامة. لكن نظراته أصبحت أكثر قسوة وجديّة عما كانت عليه في السابق. يا لحسن حظها أنها قابلته هنا وحدها، فقد ذهب بوب وزوجها برفقة ديكس وكارول للتنزه، وبما أنها تفضل النوم على مثل هذه النشاطات فقد اختارت المجيء إلى هنا للتمتع ببعض الشمس لحين عودتهم بعد أن اصبروا عليها وأجبروها على الاستيقاظ.

«حسناً يا أديان.» قالت بعد قليل. «هل نلتقي كأصدقاء أم كأعداء؟»

«لا اظن بإسكان وجود صداقة بيننا فاليري، بصراحة لو

علمت بوجودك هنا لما وطأت قدمي أرض هذه الجزيرة مطلقاً.»

صحكت وقالت: «هل الأمر بهذا السوء؟ لكن لماذا؟ أنا متزوجة من بوب فأندرلايت وأسكن في الولايات المتحدة، وأنت، كما سمعت، قطب من اقطاب الشحن البحري، وقطب ساحل جيد، إلا نستطيع أن ننسى أننا كنا يوماً خطيبين؟» قال: «أنا شخصياً لا أربح مطلقاً بذكر ذلك، لكن الحقائق هي التي تبقى، لقد أنقذتني وألمتني بشدة وعمق يا فاليري ولا أجد من السهل نسيان ذلك.»

عرفت به ثم سألت: «أنا أنقذتك؟ أنا ألمتك؟ أحب سماع هذا كن أنت هو من أنقذتني وألمتني! أنت من حطم خطوبتنا هل نسيت ما فعلته مع الفتاة اليونانية الصغيرة والغضبية التي انتشرت في الجزيرة؟ أنت من تصرف بسوء.»

قال بحدّة: «أنا لم أفعل شيئاً يشعركم بالعار، كل المسألة كانت تلفيقاً خبيثاً، أخبرتك بذلك في حينه، كتبت لك شرح كاملاً وأنت رفضت تصديقي. أشك الآن أن كنت أو والدك قد قرأت رسالتي أصلاً.»

كانت كلمتك ضد كلمة أفرأ وشقيقتها، أيضاً أنت لا تتوقع مني التصديق أنك دعوت تلك الفتاة إلى مرسمك في منتصف الليل لترسمها.»

تعر أديان للحظة أن نار الغضب والصدمة توشك أن تلتهمه، وعاد كل الألم القديم ليحتاحه لمجرد رؤية الفتاة يسمع صوتها، ما قالته للتر رهيب ولا يمكن الصفع عنه، وهذا مثالي عنها وعن شخصيتها.

قال: «لا يحق لك قول هكذا أشياء، فأنت تعلمين تماماً أن هذا غير صحيح أحببتك واعتقدت أنك تبادلينني الحب بدورك

وانك من بين كل نساء الارض تصدقينني وتثقين بي مهما قال الآخرون. لم يكن لدي نيكولاس اي دليل، اخبرتك ان افروديت لغقت هذه الكذبة».

قاطعت به بامتصاص: «آه، ارجوك لا تعيدنا الى كل ما حصل سابقاً فهذا لن ينفع احدا الآن».

قال بصوت تخنقه العاطفة: «لم تمنحيني هذه الفرصة في حينها، اسأت الحكم علي بقساوة وعن غير وجه حق، اخطأ نيكولاس وكل كيرينيا بحقي. وماذا كان بوسعني ان افعل او افعل دون ايذاء تلك... تلك الفتاة الصغيرة الطائشة المجنونة التي كذبت على الجميع لانقاذ سمعتها! وبفعلتها تلك هسملت سمعتي انا. كان ذلك مجحفاً بحقي. لكن لو استمعت لي لشرحت الحقيقة لك، كان عليك الاستماع لما لدي، كنا على وشك الزواج، كان عليك الادراك انني ما كنت لاسسلم لاغواء فتاة قروية جاهلة وانا على وشك الزواج منك».

شعرت فاليري بالغرور، ووجدت هذا الموقف رائعا، فبعد كل ذلك الوقت لا يزال اديان يحبها.

فجأة استدارت نحو اديان وقالت بصوت مواس: «لا تكن عنيفاً هكذا اديان، انت تأخذ الحياة بجدية اكثر من اللازم، انما لك كنت كذلك».

نظر اليها بعينين غاضبتين سائلاً: «وانت الا تأخذينها بجدية مطلقاً؟ هل وجدت من السهل رميك لي دون حتى الاستماع الي ما اقول؟»

هزت كتفيها قائلة: «كل من في كيرينيا صدق نيكولاس. فلم لا اصدقه انا؟»

«لانك كنت من ستصبحين زوجتي».

لم تظهر غضبك هذا كله على المسكينة فاليري؟ ان كانت حقة اليونانية هي السبب فلم لا تظهر غضبك عليها هي؟» ظهر غضبي على افروديت؟ كنت شديد الغضب حينها - رجة انني تمنيت لو اقتها بيدي هاتين، لكنها كانت مجرد مواهقة غيبة، لا اظنها ادركت اصلاً مدى الضرر الذي حققته بي. لكن انت! انت يا فاليري ببعض الثقة والايمان كنت لتصلحي كل شيء وتعيدي الامور الى نصابها».

حسناً، ما زلت لا اعرف الحقيقة، اليس كذلك؟»
«ان سأخبرك بها».

قاطعت قائلة: «ادريان حقا، كل هذا مجرد تاريخ قديم، سامزوجة الآن. لم علينا اعادة سرد تلك العلاقة المريبة؟» خنق بها بعدم تصديق وقال: «الا يوجد ذرة ادراك او فهم لديك؟ كنت احبك، انا لم اخذلك او اخونك لحظة، اتسم على ذلك».

لم تجب فاليري فتابع اديان يصوت منخفض: «ستستمعين لي القصة الحقيقية سواء رغبت بذلك ام لا، انت تدفين بذلك لي حتى ولو كانت هذه هي المرة الاخيرة التي سترى بعضنا بها».

تدافعت الكلمات منه كشلال حبس داخل سد لوقت طويل. استمعت فاليري له وهي شبه مقتنعة انه يقول الحقيقة وانها ظلمته، كان يتكلم بصدق، لكنها لم تكن مهتمة لمعرفة سواء اكان في الماضي مخلصاً لها او لم يكن.

أفروديت الكاذبة مطلقاً الغضبية التي عرفت بها فاليري ونسخت على أساسها خطوطها منه. ونشئت كل محاولات ادريان لأقناع أفروديت بقول الحقيقة. ورفض نيكولاس السماح لها بمقابلة ادريان أو التحدث إليه.

لذا استعادت بعد أن شوهدت صورتي. «انتهى ادريان كلامه». وصوت أتى إلي هنا فقط لاسعاد والدتي التي لا تعرف مطلقاً بما حدث لي مع أفروديت. كأن أهل الجزيرة من اللطف كناية كي لا يخبروها بما حدث. لكن انت، انت، أنت كان عليك الوقوف إلى جانبي وموازرتي. كان هذا اليبدل كل شيء فاليري. دمرتني أفروديت بكذبها، لكنك اكدت للجميع صدق كذبتها بإبتعادك عني وهجرك لي.

بعد أن انتهت فظرت فاليري إليه وتمتمت:

«عزيزي ادريان، يا لها من قصة مريعة! ان كانت صحيحة فأنا أسفة كوني لم أثق بك. لكن الوقت متأخر الآن وقد فات الأوان على ذلك.»

سأل: «هل تصدقيني الآن؟ هل تصدقيني؟ سواء أكان الوقت متأخراً أم لا. هل تصدقيني فاليري؟»

«عزيزي ادريان لا تتر مشاعرك بعقم هكذا الآن! ما الفائدة الآن سواء أكنت ولداً جيداً أم سيئاً! كل ذلك مجرد ضاحض منته.»

حدق بها وكأن الصاعقة مسته. وكأنه اليرك أكثر من السابق مدى سطحية وتفاهة هذه المرأة. وأن كل هذا الجمال كان مجرد قناع جذاب لطبيعة لاهية، سخيفة لا قيمة لها. وعرف أن قصته لم تكن ذات تأثير عليها، فنفض وهو يقول: «ستصدقيني حتى ولو اضطررت لإجبار تلك الفتاة وإجبارها على قول الحقيقة لك، ستسمعين الحقيقة منها.»

الفصل السادس

اثناء خطوبته لفاليري برأيت لم يكن ادريان يرى أو يشعر بأي امرأة أخرى في الكون، فقد كان مغرماً تماماً بها. ودخلت أفروديت الفتاة اليونانية حياته كنموذج للتصوير والرسم. ونظر إليها كمنحدر موديل رسم جميل يعكس الشباب والجمال اليوناني. لكن لسوء حظ ادريان، وقعت أفروديت في غرامه، وأضحت تشكل أزمة عاجلة له، ألا أنه لم يعتقد للحظة أنها قد تشكل أي خطر عليه.

وقد ساءت الأمور بينه وبين الفتاة قبل امسية رأس السنة بالضبط. فقد أخبرته أفروديت بحبها له وهياستها به فطلب هو منها عدم المجيء ثانية إليه لأنه لم يعد راغباً برسمها وحينها جن جنونها وتركته كل عائلتها هارعة إليه. فجادلها وحاول اقناعها بخطأ ما فعله كونه على وشك الزواج وبحب خطيبته لكنها ابت الاستماع له وأهيببت بنوبة هستيرية وشبه أغماء.

فارتقت على الكتابة فيما جثى ادريان قريبا محاولاً اقناعها منطقياً بحقيقة ما يحدث، حينها بالضبط رحل نيكولاس وأساء فهم الموضوع كلياً لدرجة أن الرجلين اوتسكا على الاقتتال العنيف.

سأل نيكولاس شقيقته التي رفضت قول الحقيقة، ثم لفتق نفسها احتمت بالكذب، ادعت أن ادريان اغواها ودعاها إلى مرسمة تلك الليلة بالذات. صدقها نيكولاس ورفض الاستماع لشروحات ادريان. ورد على مسامع الجميع قصة

نهضت فاليري بدورها وقد بدأت تشعر بالمثل من ادريان وتصرخه. «آه لا تهتد عني الآن عزيزي تعال واسمع معي واترك الامور على ما كانت عليه».

حدق في عينيها قائلاً:
«ارفض هذا كلياً، علي اجبارك انت ايضا على تصديق الحقيقة».

«لماذا ادريان اوليفنت؟ لماذا لازلت راغباً بأن انظر اليك كرجل رائع ومخلص؟» كما كنت اعتقدك وانظر اليك يوماً في السابق. هذا هو لب الموضوع؟ لهذا انت شديد الانزعاج؟ الازلت مهتما بي يا ادريان؟»

ادرك حينها بالضييق انه يكرهها، كل ما عاينه جواً عدم اخلاصها وعدم اهتمامها بالأم قلبه إضافة لرد فعلها الآن بعد سماعها شروحاته اشعلها ببركان الغضب الجامح داخله، فامسك بذراعيها وهرضا بعنف قائلاً «اصمتي».

لكنها سمعت في تلك اللحظة بالذات صوت ضحككات وكلمات عرفت ان بوب وكارول وديكس قد وصلوا فصارعت الى الابتعاد عن ادريان.

«انتبه يا ادريان فقد وصل الباكون، اهدأ يا حبيبي سارك في وقت آخر».

لم يتسن له الوقت للمغادرة، فقد وصل الجميع الى الحوض الآن وكانوا يرمقونه بنظراتهم المتسائلة.

سارعت فاليري بحسها النسائي للتصرف وفقاً للطريقة التي ارتأتها، فقد وضعت ذراعيها حول زوجها بدلال قائلة: «اهلاً بوب، لقد عدتم هل استمتعتم بئزمتكم؟ انا سعدت كثيراً بالشمس هنا، وصادفت صديقاً قديماً هذا

ادريان اوليفنت، ادريان هذا هو بوب فاندرا لايت زوجي» تبادلت كارول وديكس النظرات، ثم قالت كارول: «آه... هذه حالة يجب رؤيتها».

قال: «اذكر انني سمعت هذا الاسم من قبل؟ لكن لا اذكر اين؟ اين؟ يا قال؟»

ابتسمت بحيث وقالت: «آه، انه من كنت خطيبته في السابق، هو يعيش في كورينيا، وقد سبق له ان رسم لوحات رائعة لي».

تقلصت ملامح فاندرا لايت وتمتم: «آه، اجل»
«لماذا ادريان قبضته فهو يعلم تماماً ما يدور ببال الرجل الامريكي السمين».

ادرك ادريان الآن انه لن يرتاح ابداً حتى يكشف الحقيقة للجميع ويعيد لاسمه تقاونه وصفاءه حتى يتقدم فاندرا لايت وزوجته بالاعتذار منه.

قال ادريان: «اعذرني قلدي موعداً...»
سارع بوب للقول: «بالطبع».

بدأت فاليري: «لا تهرب ادريان...»
لكن ادريان فاطعها فوراً قائلاً:

«لا نية لي بالهرب مطلقاً، لكن على التحدث مع آل اليستون بعد ذلك... ارجب برويتكم مجدداً، الى اللقاء».

فور اخفائه سارع فاندرا لايت قائلاً:

«ان حبيبتني، هذا هو الشاب صاحب الذوق الرديء الذي اغوى لحدى فتيات الجزيرة قبل زواجكما».

«هذا هو» ردت فاليري بتفكير. لكنها شعرت بانزعاج بسيط جديد عليها، يا للنظرة المريعة التي رماها بها ادريان قبل مغادرته! يمكن ان تفسيره الطويل الممل ذاك

هو الحقيقة، وأنه بريء مما اتهم به! عليها انتهاء كل هذا الهراء بأي طريقة، سندمب الى فيللا فينيسيا لتقابل ادريان ولتخبره الا يقتصر فبغاء.

اما في فيللا فينيسيا فقد التقى ادريان ولوسي للمرة الاولى هذا اليوم على طاولة الاقطار التي اعدتها لوكاس لهما على الشرفة.

بدا ادريان هادئاً ومتمالكاً تماماً لا عصابه. لكن لوسي ادركت على الفور ان هناك شيئاً خلف الهدوء فوجهه كان متشنجاً دون اي لمسة من لمسات ادريان الودي الذي رآته ليلة البارحة.

نظرت اليه ببعض الحيرة فيما هي تسكب القهوة له. هل رأيت السيدة الكبيرة؟

«اجل، اشكر الله على تحسن صحتها».

«نعم، لقد تتجاجأت وتمرتبها السعادة حين علمت بمجيئك ليلة البارحة».

هز ادريان رأسه موافقاً واكتفى بالصمت واحتساء قهوته. ادركت لوسي ان عقله كان في مكان بعيد تماماً وتغاجأت كلياً حين سألتها: «سأذهب في نزهة بعد الفطور. على فكرة يا لوسي، الا يزال نيكولاس وافروديت في الفندق؟ ام انهما في اثينا؟»

تحققت وقلبيها يخفق بشدة: «افروديت ونيكولاس لا يزالان... لا يزالان في الفندق».

«شكراً لك». وتابع تناول فطوره بصمت.

تزايد قلق لوسي وحيرتها واخذت تراقبه متسائلة عما يدور في خلدته... وعن سبب نطقه بالاسمين الممنوع مجرد التفكير بهما في الفيللا.

رن جرس الهاتف وسارعت لوسي للرد عليه كانت كارول هي المتكلمة وقالت: «لوسي حبيبتي، اخشى انني احمل انباء سيئة. هل ادريان هنا؟»

«اجل وهو يتناول طعام الفطور! ماذا هناك؟»

«وكذلك نحن بدورنا. لكن كان علي الاتصال بك. اتعلمين انه اتى للمسابقة في حوض النادي وقد قابل هناك فاليري صباح هذا اليوم؟»

رفعت لوسي يدها لا شعورياً الى حلقها. ادركت ان المتاعب آتية لا ريب وان ذاك اللقاء هو المسؤول عن مزاج ادريان الحالي.

كانت فاليري تتحدث مع كارول بمزيجتها العابثة حول لقاء الصباح الباكر وكيف ان ادريان حاول تبرئة نفسه بما دعت فاليري «تحريف القصة» القديمة وأنه هدد بالذهاب الى افروديت اليستون لانتزاع الحقيقة منها. انتهت كارول كلامها بالقول: «اما صدقاً لا اعرف التفاصيل لكنني اتوقع المشاكل يا عزيزتي، لعل من الافضل ان تحاولي ردع ادريان وايقافه عن إثارة المأضي. فكما يبدو هو مصمم على فعل ذلك».

وضعت لوسي سماعة الهاتف مكانها وقد هرب اللون من وجهها اذن تلك هي القصة. هذا هو سبب التحهم والغموض، ادريان قد قابل فاليري، وانفجرت القنبلة دون سابق انذار امام عينيها. ما الذي سيقوله حول اخفاء حقيقة زواجها لفاليري على الجزيرة عنه؟ لكم كان كنوسا على ضاولة الفطور، لعله كان غاضباً منها لسكوتهما... من فاليري ولم سألها عن آل اليستون؟ لعله يريد الذهاب اليهم وسؤال افروديت الحقيقة كما قالت كارول! لكن لماذا؟

لماذا؟ بم سيذهب ذلك؟ لو سي لا تعرف تفاصيل الموضوع وقد شعرت بالأرتباك الكامل.

تسارعت ضربات قلب لوسي وهرعت بسرعة إلى المشرقة، عليها التحدث مع ادريان، وتوضيح هذه المسألة ومنعه من الذهاب إلى فندق أليستون، لكن مقعده كان شاغراً لقد غادر المكان.

كانت أفروديت في غرفة الغسيل خلف الفندق، تغسل برغفة فقا أخرى بمثل عمرها.

كان نيكولاس في ليماسول اليوم لهذا أرسلت العجوز أفروديت إلى غرفة القسيل، وقد سرت أفروذلك، فالخادمة زيتا كانت صديقتها. كانت زيتا تخبرها عن حبيبها البحار اليوناني وعن زواجهما حين ترسو سفينته ثائية على الجزيرة.

استمعت أفروديت لها وهي تتحسر على نفسها، فالأوضاع ان زيتا تستمتع بحياتها أكثر منها هي. حملت الفتاتان بعد ذلك الملاءة الكبيرة إلى الحديقة وتشرنفا على حبل الغسيل.

كان المكان جميلاً هادئاً لكن روح أفروديت لم تكن كذلك مطلقاً. فقد تمتع لو أنه يحبها أحدهم كما هي حال زيتا، ودوماً كلما خطرت فكرة الحب على بالها كان يترأى لها شيخ ادريان أوليفنت رغم عدم رؤيتها له طوال تلك المدة. فجأة مزتها زيتا قائلة: «أف أفرو انظري»

نظرت وخفت قلبها بشدة. فهناك كان يقف الرجل الذي يسكن أفكارها.

سألها يجفاف: «هل شقيقك في المنزل؟»

«لا، نيكولاس في ليماسول»

«أرغب بالتحدث اليك أفروديت وإلى نيكولاس أيضاً، لكن بما انه ليس هنا فأكثفي بمحادثتك أنت الآن»

نظرت إلى زيتا التي تراقبهما باهتمام وقالت لها بلطفها: «سأخذه إلى بستان الزيتون. راقبي المكان ونادني بحال استدعيتني جدتي»

ضحكت زيتا وتعت لها الحظ فارتفعت معنويات أفروديت فقد كانت غيبة لعدم احساسها بالخطر القادم. رمت ادريان بنظرة وتعت:

«سأذهب في نزهة قصيرة. سأسير امامك»

لماذا هو بالغ الغضب؟ ما الذي فعلته؟ بدأت تتكلم وتركها تفعل حتى ابتعدا قليلاً عن الفندق ثم امسك بيد الثرثرة الغبية.

اصمتي يا أفروديت، اريدك ان تستمعي باندباه وتركيز إلى ما سأقوله! هذا الامر بالغ الأهمية لي. انت تفهمين معنى كلمة مهم، أليس كذلك؟

ضربت إليه وقالت: «اجل»

ان يجب ان تفهمي الضرر البالغ الذي تسببت لي به. خبرها انها تسببت بخسارته لزوجة المستقبل، لأسمه خفيف وسمعتة الجيدة في قبرص، لأصدقائه وراحة باله، كل هذا بسبب كذبتها، أخبرها انه يعرف انها فتاة طيبة رفيقة ان ترضى مطلقاً ان تؤذي أو تسيء لأي شخص. صرعا ان عليها الاسراع بالتكفير عن خطئها وإسائها غير المقصودة تلك... عليها الاعتراف بحقيقة ما حصل، ر عبار نيكولاس عن كذبتها بشأن ما حدث في الاستديو الليلة.

صمت ترمقه بنظرات غاضبة، فقد خاب قلبها بمرارة،

اعتقدته جاء ليخبرها كم هي جميلة وكم هو راغب برسماها مجدداً. كان مجنوناً دون شك لا اعتقاده بإمكانية اطلاعيها نيكولاس على الحقيقة وعلى أنها كانت كاذبة، فحينها لا شيء سيمنع نيكولاس من إرسالها إلى عمتها كالبوب. نظر إلى الوجهة الأسمر الجذاب وأدرك ما يجول في خاطرها. لم يلحظ بريق فهم أو أدراك لديها فأنفجر بها قائلاً: «الا ترى الشر الذي قمت به يا أفروديت؟ أنا لم المسك قط الا حين كنت أبعد خصلات شعرك عن وجهك أثناء الرسم. لا يسعك ترك الأمور هكذا... لا يسعك تركي في المعاناة طيلة حياتي وأنا منبوز في نظر العالم كله من دون أي ثوب.»

انفجرت أفرو عند هذا بالبكاء وامسكت بيده أيضاً سبل من الكلمات اليونانية ينهمر من فمها. «أيتها الحمقاء، هل تعتقديني راغباً في لمسك الآن؟ أه، انت بعيدة كل البعد عن أي أدراك أو وعي.»

علا صراخها وبكاءها وخبات وجهها بين كفيها. كانت خائفة ومتعصبة من رفضه لها. لا يهمها كل ما سمعته منه. فنيكولاس لم يلتمسها في تلك الليلة، بل حسب كل غضبه ولومه على أدريان نفسه وهي لم تفعل شيئاً لتقبل ذلك مطلقاً.

«أذن كل ما قلته كان مجرد مهباء، ولا زلت حيث كنت تماماً أولاً»

كانت هذه صرخة بأش نابعة من أدريان. وقد سمعتها لوسي غريشام. سمعتها وتأثرت بها بعمق وسارعت إلى بستان الزيتون حيث أرسلتها زينا.

توقفت أفروديت عن البكاء فور رؤيتها للوسي «ما الذي أتى بك إلى هنا؟» سألتها أدريان بذهول ودهشة.

«أقتد... نسيت أن تدفع لي رائي، وأنا بحاجة للمال، أريد، أريد شراء بعض الأغراض.» قالت ذلك يارتباك فهي لم تكن كاذبة بأربعة وسادة احمرار وجهها كان يفضح كذبتها.

مرت لحظة صمت، حتى أدريان بلوسي. ثم تناول عليها سجانره ببطء. قال بهدوء: «أذن أتيت إلى هنا لقبض مالك! يا للغرابة! وكيف عرفت بوجودي في هذا المكان بالذات؟» ضحكت لوسي بعصبية. لا يسع المرأة الكذب على هذا الرجل أبداً. فكرت لوسي مشاءلة عن السبب الذي دفعها للنجي إلى هنا خلفه، فهو لا يحتاج إلى حمايتها الضعيفة. لكنها أدركت أن قلبها كان يتردد لعدم وجود نيكولاس هنا وبالتالي لعدم وقوع المشاجرة العنيفة بينهما.

ولمعت فكرة أخرى في عقل لوسي كالبرق الساطع الذي اعماها عن النظر للحظات أنها تحبه، نعم تحب أدريان أوليفنت بكل ذرة في كيانها ومجرى رؤيته تشعل النيران في أعماق قلبها وروحها. لكنها كانت بالنسبة له أقل شأنًا مما كانته فاليري برايت

قال لها: «لنغادر هذا المكان.»

ثم استدار مبتعداً. استدارت لوسي لتتبعه فلحققت بها أفروديت بصراخ ودموع قائلة: «ارجوك، ارجوك أنسة لوسي أخبريه الا يغضب مني.»

همست لوسي:

«أفرو! ما كل هذا؟ ما الذي فعلته؟»

هزت أفروديت رأسها وأغررت لوسي رغبة جامحة بمعرفة كل الحقيقة، كل تفاصيلها. عادت أفروديت للبكاء ثانية. فقالت لها لوسي بجدّة:

«كوفي عاقلة يا أفروديت! ولا تقولي المزيد من الأكاذيب»

والأفسيوزاد الأمر سوءاً. هناك شيء لم تطلعي شقيقك عليه، صبح؟ شيء عليك اخباره به أفروديت؟»
هزت الفتاة السمراء رأسها وأخذت بالمزيد من الانتحاب والبكاء، وينفاد صبر استدارت لوسي ولحقت بأدريان.

الفصل السابع

كان الغداء في فيللا فينيشيا وجبة صامتة. فأدريان لم ينطق بكلمة واحدة طوال فترة عودتهما من بستان الزيتون تاركاً إياها لأفكارها المحترقة.

وقيع داخل الاستديو طيلة بقية النهار من دون أن تعلم ما الذي كان يفعله هناك. لكن قبيل العشاء اطلعها لوكاس على ما كانت تجهله قائلاً: «السيد بالغ الغضب لسبب ما أمرني أن أجد شار ما لشراء كل ما يحتويه الاستديو من أثاث والوان ولوحات، هذا محزن حقاً. ستصبح الغرفة فارغة ومهجورة.»

فكرت لوسي بهذا أثناء تناولها العشاء مع أدريان، وشعرت بالسعادة حين رن جرس الهاتف ونهضت مبتعدة للرد عليه. صوت كارول المرح كان ما تحتاجه بالضبط.

«كيف هي الأمور حبيبتي؟ هل سترأك اليوم أم لا؟ ماذا عن المهرجان في لارنكا؟ ذكر نيكولاس شيئاً عن ذهابك معنا؟» ردت لوسي بسرعة: «لست واثقة بشأن المهرجان، تعرفين أنه في المنزل الآن واطنه يريدني أن أذهب برفقته إلى هناك.»

قالت كارول بضحك: «اقمعي لك السعادة.»

ثمّلت لوسي صامتة فتابعته كارول: «الأمر مزعج بوجود فاليري في صحبتنا، فبوجودها لا نستطيع الطلب من أدريان مراقبتنا.»
«بالطبع لا.»

اضابت كارول قائلة: حسناً، تعالى لرويتنا حينما تشالين
فحسرتنا دوماً برويتك»

سألتها لوسي: «الى متى سيبقى آل فاندرلايت ههنا»
«حوالي الشهر على ما أظن»

«شكراً» اعادت لوسي السماع إلى مكانها وهي تغمض لو
إن جواب كارول الأخير كان غداً

انضمت مجدداً إلى ادريان في الصالون حيث كان لوكاس
يسكب القهوة. وبعد مغادرة لوكاس رماها ادريان بنظرة
فاحصة ثم أخذ يحرك قهقهة بتذكير ثم قال: «بحال اودت
القيام بترتيبات أخرى. فأنا بدلت رأيي بشأن الذهاب إلى
المهرجان في لارنكا حتى أنني قد لا أبقى هنا المدة التي
توقعها».

شعرت لوسي بالامتعاض فجأة. وكونها شخصية شجاعة
فقد جاهزت بذلك لادريان قائلة:

«لو أنك أخبرتني بذلك قبل الآن. فقد رفضت للتو الذهاب إلى
هناك برفقة كارول دكستر».

«اعترف أنني سمعت ذلك. فالجلوس في الصالون يخلوك
سماع كل ما يقال على الهاتف».

تناولت لوسي فنجان قهوتها وقالت: «بما أنك دعوتني،
فأنا أتوقع منك اصطحابي إلى المهرجان».

اعقلت الدهشة فجأة وجه ادريان وحذف بلوسي يدهول
فقد كان يشعر بصوت عميق داخله منذ لحظة عودته من

بستان الزيتون. وكالعادة. أعجب بمعنويات لوسي
قال: «عزيزتي لوسي، اصداقك سيكونون أكثر مرحاً مني

في المهرجان في لارنكا، أو حتى صديقك اليوناني فأنا
لمست بمزاج يسمح لي للرقص مطلقاً».

«حسناً» ردت رافعة يدها بفخاد صبر: «لكن تذكر أنك أنت
من تبرع بدعوتي. أما بالنسبة إلى متعة رفقتك، فأنت
لا تحاول مطلقاً أن تكون ممعناً، أنت فقط تسمح لنفسك
بالاستسلام لمزاج سيء تلو الآخر».

جحفت عينا ادريان الآن لشدة ذهوله. لم يجروا أحد مطلقاً
على محادثته بهذه الصراحة والوضوح والمباشرة. وقد
أثار هذا استمئاعه فعلاً.

فجأة انفجر بالضحك وحذفته لوسي بنظرة غاضبة
قائلة: «يسرني أنك تجذبي مضحكة هكذا».

توقف عن الضحك ومز رأسه متناولاً سيجارة وقال: «حسناً،
حسناً، أنت فعلاً تثيرين دهشتي يا لوسي! أعرف أنك
تعتبرينني رجلاً صعب المراس فقط الطباع. أنت لا
تترددين بإبلاغي بذلك بين الحين والآخر. لكن رغم ذلك
ترغبين بأصطحابي لك إلى لارنكا».

شعرت بالخجل العارم. تمنعت لو أنها لم تنطق بحرف واحد
وهي تفضل الصوت على إدراكه أنها تفضل مرافقته هو على

صحبة كل من يوجد في فندق الدوم أو في الفندق اليوناني.
من فضلك أنسي الموضوع، فلا أظنني سأذهب إلى

المهرجان أصلاً. الآن، هل صحيح ما قاله لي لوكاس حول
بيعك لكل مقتنيات الاستديو؟ إن كان هذا صحيح فعلي

المساعدة بذلك. لوكاس أصبح عجوزاً وينسى كثيراً. علي
الذهاب إلى البلدة والبحث عن يرغب بشراء حاجياتك».

تغير ادريان إليها باستغراب قائلاً: «أنت شديدة الغضب
نني كما يبدو يا لوسي».

«لا يحق لي ذلك، فأنا مجرد موظفة تتقاضى راتبها في
هذا المنزل».

«لا تقفوهي بمثل هذه الأشياء لوسي أو سأشعر حقاً بالملل. لا أريدك أن تشعري أنك مجرد موظفة في هذا المنزل. كنت شديدة اللطف والرفقة مع امي.»

لوسي بقليلها المنتفض بشدة استدارت لتغادر المكان لكن صوت ادريان نادىها قائلاً:

«حقاً يا لوسي، لا داع لنا للمشاجرة، فالعالم مليء بالمتاعب كما هو. تصرفتي سوء نحو مسألة المهرجان، لكن بصراحة تامة لم يخطر بهالي مطلقاً أنك ستكتريين سواء اصطليتك اليه بنفسي أم لم أفعل.»

استدارت محركة يديها بفناء صبر مجدداً وقالت:

«آه، إذا كان الأمر كذلك، فأنا لا أكره. لكن يبدو لي أنك تراجع عند أول عقبة. لماذا، لأن شيئاً ما أزعجك هذا الصباح، هل نسيت كل ما قلته لي حين وصلت إلى هنا ليلة البارحة؟ كيف أنك ستتغير وتخرج وتندمج مع المجتمع هنا وأنك لن تدع الحياة الكنيبة تمتصك حياً؟ حسناً، اعرف الآن أنها تفعل، اعرف أنك تفكر بأمر جدي، اعرف مثلاً أنك قابلت في الصباح الفتاة التي كانت في السابق خطيبتك وأنها كدرك وأزعجتك، اتفهم ذلك واطلها إنسانة بغیضة وكريهة، اطلن من المربع لك السماح لها بتكدير مزاجك، فهي لا تستحق ذلك.»

توقفت بذعر لاندفاعها وتفوهها بكل تلك الكلمات، اعتلى الاحمرار وجنتيها وبسرعة اضافت بأنفاس لاهثة: «ارجو عفوك، هذا ليس من شأني، كنت مجنونة يقول هذه الأشياء.» استدارت مجدداً وسارعت بمغادرة الغرفة لكن ادريان كان أسرع منها بالوصول اليها وامسكها من ذراعها مانعاً ايهاها من المغادرة.

«لا يمكنك الهروب بعد كل ما قلت. عليك اخباري بالعزيب.»

تصمتت برعب: «لا... ارجوك... افضل لي الذهاب.» لكنه ظل ممسكاً بذراعها وقال: «قلت الكثير من الأشياء التي اصابت الوتر الحساس، لا داع لك للهروب والاعتقاد أنك اهتكتني بكلماتك. فهذا غير صحيح، لكن هذا سيء من الناحية العملية، لكن دعينا نطرق للمزيد من الحقائق يا لوسي، قولي لي انني استسلم عند أول عائق، اهكذا تبدو لك الأمور؟ انني انهزامي؟»

هزت لوسي رأسها بصمت وتابع هو: «لوسي، لقد قاومت وناضلت كثيراً في البداية وتابعت القتال حتى بدا انني خسرت كل ما كنت أؤمن به، حينها لم اجد قائدة ترجى من متابعة القتال، إلى ان قابلت فاليري ثانية هذا الصباح بعض الأشياء التي تبادلناها في الحديث صدمتني بشدة، تملكنتي حينها رغبة مجنونة بمتابعة القتال في المعركة القديمة لأثبت لها انني على صواب وأنها هي على خطأ، لكن حتى حينها كان القتال غير عادل، المشاجرة مع أفروديت، ماذا بوسعك ان تفعلني ان كان الشخص المرتبط تشويه اسمك كاذباً، ومصرأ على كذبه؟ عدت إلى المنزل صباحاً يماً سميت (واحد من مزاجاتي السيئة... مزاج سيء ذو الآخر) هذا ما قلته بالضبط، أنت محقة يا لوسي، هذا قريب جداً من الحقيقة لكنك لو عرفت كل الحقائق لكنت كثر تفهماً.»

ستعادت لوسي بعضاً من ثقتها بنفسها ومن جراتها وقالت:

ادريان، منذ وصولي إلى فيللا فينيشيا وأنا اسمع الكثير

من الشائعات والتلميحات، لعلك لا تدرك مدى صعوبة الامر عليّ.»

«أظنك بالغة الاخلاص والوفاء يا لوسي مع ان لا حاجة لك لمساندتي.»

«توصلت الى استنتاجاتي الخاصة بعد ذلك اليوم في الاستديو.»

«استنتاجات معي او صدي؟»

«لا اعرف، فأنا لم افهم تماماً كل شيء.»

«لكنني اريد ان اعرف هذه الاستنتاجات التي توصلت اليها هل اعتقد انني جيد ام سي؟»

«أظنك جيد، لا اعرف الكثير عن ذلك، لكنني اصدقك. هذا كل شيء.»

هذه الفتاة التي احضرها الي هنا للاعتناء بوالدته لا تعني شيئاً له، لكن قولها الصادق انها تؤمن به وتصدقه من اعماقه.

«شكراك يا لوسي، شكراً لك.»

«عليّ الميعود الي غرفة السيدة والدتك. فأنا دوماً اثرثر معها قليلاً قبل موعد قبيلولة بعد الظهر.»

«لا بأس، لكن بعد خلودها للنوم عودي الي هنا. ارجو بوضع حد لكل هذه الشائعات والفضائح. سأخبرك بالقصة الحقيقية من وجهة نظري انا.»

تمتصت: «حقاً، لا داع لذلك.»

«حان الوقت لك يا لوسي للاستماع الي القصة كاملة مني انا.»

لاحقاً من صباح هذا اليوم. وبعد رخييل لوسي وادريان بدأت زيتا وأفروديت التحدث عما حصل!

ماذا اراد الرجل الانكليزي؟ سألت زيتا أفروديت التي لم ترغب بالاعتراف انه رفضها، سارعت بإخبار صديقتها

بالأكاذيب. قالت ان الرجل الانكليزي عاد ليطلب منها العودة الي الاستديو لرسمها مجدداً. وحين قالت زيتا ان

نيكولاس سيغضب ان عرف رجبتها أفروديت الا تخبره بأنقسمت زيتا على ذلك.

كان الخادمة عادت الي المزرعة وسردت ما حدث لسقيقتها برا، التي وعدت الا تخبر احداً، والتي ذهبت الي القرية

وطلعت خطيبها جيكو الصياد على ما حدث في الصباح من أفروديت والرجل الانكليزي.

جيكو الذي ذهب الي المقهى مساءً، ونسى وعده لأيرا سأ بإخبار الجميع. الرجل الثري من فيللا فينيشيا عاد

ليلاحق أفروديت اليستون ثانية! كيف سيتقبل نيكولاس ذلك؟

نجوا كل من في المقهى بالضحك على هذا السؤال. نيكولاس الذي عاد للتو من ليماسول دخل الي ذات المقهى

نمر الصعود الي فندقه. شعرب حين توقف الجميع عن الضحك فور دخوله المكان

سأل ما الضحكة، لم يخبره احد بها فأدرك على الفور ان الضحكة تتعلق به والا فلم هذا الاحجام عن تكرارها.

جلس على الكرسي المقابل لجيكو وسأله مجدداً عن سبب ضحكهم وتردد الجميع من تكرارها امامه.

سبب جيكو واقتراب من نيكولاس هماساً. عحكوا لأن السيد من فيللا فينيشيا عاد ليلاحق اختك

أرضاً حيث تشارت إلى منات القطع وصاح بالبحار
بلغته:

«أيها الكاذب: أيها الكلب الكاذب».

قال: «لست بكاذب. شقيقة خطيبتي زيتا كانت تغسل
الصلاات هذا الصباح في الفندق وشاهدته هناك وهو
يصطحب أفروديت إلى بستان الزيتون».

«زيتا قالت ذلك؟»

أصلح جيكو من وضع قبعته وتابع:

«أجل، هي قالت ذلك. لكن لربما فعل ذلك لمجرد التلويح
و...»

«لا علاقة لأختي مطلقاً بالرجل الانكليزي الآن وهو لم يأت
باب الفندق» قال نيكولاس ذلك بصوت رنان لإسماع كل
من في العقبى.

ثم استدار وغادر المكان، استقل سيارته واتجه نحو الفندق
لرؤية أخته غير الشقيقة لكنه سيمر قبل هذا بالمزرعة
لسؤال زيتا عن صدق ما سمعه.

كانت زيتا وشقيقتها أيرا تتناولان العشاء مع والديهما
في مطبخ المنزل التابع للمزرعة حيث وصل نيكولاس.
استقبل الوالدان المالك الشاب بسعادة وكانا يشعران
بالفخر لا عتباره صديقاً لهما، لكن لم يكن وجهه الوسيم
مبتسماً هذه الليلة. فقد دخل فوراً صلب الموضوع موجهاً
حديثه إلى زيتا.

«أرغب بمكالمتك».

نهضت الوالدة بغلق وقالت وهي تنظف يديها بمنزرها:

«هل قاصت ابنتي بالإساءة إليك؟»

«لا. لكنني أرغب بسؤالها عن متطفل دخل باحة الفندق

اليوم وهو غير مرغوب بوجوده هناك. كانت زيتا مع أختي
في ذلك الوقت».

تبادلت العائلة النظرات. زيتا بوجهها المتورد أرخت
بصرها لكن تبعاً لأمر من والدتها سارت متجهة إلى
نيكولاس.

نظر إليها وزاد خوفها فهي لم تره من قبل أبداً غاضباً لهذه
الدرجة. رمت زيتا أيراً بنظرة غاضبة لأدراكها أنها أفضت
السراً وطلعت غيرها ولا بد وصلت الحكاية إلى مسامع
نيكولاس اليستون.

حاولت زيتا المراوغة إلا أنها اضطرت للاعتراف في
النهاية أن أدريان أوليفنت جاء إلى الفندق صباحاً فيما
كانت وأفروديت تغسلان الصلاات وأن أفروديت ذهبت
معه إلى بستان الزيتون.

«كم طال بقاؤهما هناك؟»

بدأت زيتا بالكاء وقالت أنها لا تذكر. نهض الوالد حينها
سأل: «لم ابقيت هناك؟»

أسف أن كنت السبب في بكائها. هي لم ترتكب أي
سوء. أعذرتني لعدم تمكني من البقاء. تصبحون على خير
جميعاً».

كان غضبه الآن قد استشاط، فرواية جيكو كانت صحيحة
بتأكيد زيتا لها لم تكن أفروديت في الجوار وبعد سؤاله
أحدى الشادلات عرف أنها في الأعلى برفقة جدتها.

وصل إلى أسفل السلالم وناداهما. نزلت أفروديت وهي
تبغض غير عاتمة بالخطر الداهم.

«أود التكلّم اليك أفرو» وسار أمامها إلى غرفة الجلوس
الخاصة بأل اليستون والمجنوع على الزوار دخولها.

تغير لون أفروديت على الفور... وظهر الذعر على ملامحها ودمعت عيناها. لقد عرف نيكولاس بما حدث هذا الصباح أمسك نيكولاس بيدها وبدأ سيل الأسئلة المنهمر عليها والانتهاكات. كانت مخادعة وحفيرة، ومجدداً طلخت سمعتها وسمعة عائلتها وشقيقتها بالوحل.
كم مرة قابلت السيد أوليفنت؟ ما الذي قاله أو فعله معها؟ عليها إخباره والا قتلها...

أفروديت الجبابة، بدأت بالبكاء وقالت إنها بريئة، وإنها لم تحاول ولا مرة مقابلة السيد أوليفنت أو رؤيته، وكى تحمي نفسها عادت لتكذب وتقول إن ادريان أتى اليوم ليسألها العودة إلى مرسعه كي يرسمها.

نظر إلى اخته كحمل بريء فيما ادريان هو الذئب المفترس الساعى خلفها، يريد لها أن تذهب إلى الاستديو ليرسمها وكأن النذل لم يتعلم الدرس من المرة الأولى!

الآن كانت أفروديت تذكر اسماً آثار انتباه نيكولاس وقطع عليه أفكاره. «الآنسة لوسي، لوسي... أنت لاصطحاب السيد أوليفنت».

حدق نيكولاس بها بعدم تصديق. أنت لوسي لاصطحاب السيد أوليفنت، هذا خبر جديد، لا شك أنها أدركت الآن حقيقة مخدومها.

أمسك يد أفروديت وقال بحق: «توقفي عن البكاء وأعقلي، اصدق أنك لم ترتكبي أي خطأ لكن السيد أوليفنت دفع الحساب. أقسم هذه المرة أنه لن يذهب دون معاقبة، لديه المال والسلطة والمركز لكنني نيكولاس المستون ولن يضحك الآخرون على شقيقتي بسبب تصرفاته الرعناء المتحطة».

تابعت أفروديت تحببها وقالت بخوف: «أرجوك لا ترسلني إلى العمدة كاليوب. إننا لم ارتكب أي سوء دعلي ابقي هنا معك يا نيكولاس».

«اصبري إلى الجدة الآن سأقرر بشأنك غداً، هنا انصبي» توقفت عن البكاء ورمته بنظرة خائفة وسألت: «ما الذي ستفعله الآن نيكولاس؟ أنت لن تثير المتاعب في فيللا فينیشيا الليلة اليس كذلك؟»

حدجها بنظرة ملتزمة وصاح: «اتريدين مني عدم معاقبته بعد أن عرضك لكل هذه الإهانة والسخرية بعرضه ذلك؟ هل تغفلينني أحقاً كفاية للتصديق أنه يريدك لرسم وجهك الغبي هذا فقط؟»

اشاحمت أفروديت بنظرها عنه، هذا مريع بالفعل، وكأن كذبة واحدة كانت تجر خلفها المزيد من الأكاذيب، وتذكرت نوسل لوسي لها بقول الصدق. لكن لا يسعها الاعتراف بالحقيقة لنيكولاس.

كلماته القالية أثارت رعبها أكثر فأكثر.

سأقوم بما أجده مصيباً بحق هذا الرجل، لكن من الواضح الآن أن جدتنا دائمة المرض وأنت لا أم لك لترشدك حين أكون خارج كبريانيا، وهذا يعني أن بقاءك هنا غير مفيد لك. سنذهب إلى اثينا في الحال لنسأل العمدة كاليوب لنصح والمشورة».

عاد بكاء أفروديت ليشتد ويعلى.

صعدت ببكائها المر إلى جدتها، فيما انطلق نيكولاس عصبية وغضب بسيارته نحو البلدة باتجاه فيللا فينیشيا كانت أفكاره تتخبط وبركان غضبه المتفجر يتأجج فلم يلاحظ الشاحنة المتوقفة على جانب الطريق وما هي الا

لحظات حتى كانت سيارته تخترق مؤخرة الشاحنة مهددة بقتله بثوان. لكنه اندفع طائراً من سيارته المكشوفة الى الارض المصلبة المجاورة وسقط فاقد الوعي. لم يستمر الا بضع ساعات وبعدهم يطالب بنقله الى المستشفى لكنه تمكن من النطق مطالبا بأخذه التي فتدق. خافت افروديت لرؤية شقيقها والدم ينزف من رأسه فيما الآخرون يساعدونه على السير واعتقدت للحظة ان هذا ناتج عن المشاجرة بينه وبين السيد اوليفنت. وارتاحت اساريرها قليلا حين عرفت بما حدث وسارعت بإرشاد من يحمله الى غرفته واستدعت الطبيب اليوناني الذي يعاين جديتها كرسى افروديت نفسها لرعاية شقيقها محاولة إظهار عمق حبها له كي يبدل رأيه ولا يرسلها الى اثينا في الغد. وبعد ان أتى الطبيب واهتم بجروح نيكولاس الطفيفة ووجهه المتورم ورسغه المصاب وكدماته الكثيرة اعلن عن ضرورة بقاءه في السرير ليضعة ايام كي يستعيد عافيته. سألته افروديت هل تستدعي له لوسي نظراً لانه ظل يكرر اسمها اثناء نوبة الحمى التي انتابته لكن نيكولاس قال: «ارغب برؤيتها غدا لا الآن».

«نيكولاس، أسفة للحادث الذي تعرضت له لكن ارجوك قل انك تسامحني وتصدقني».

حددها بنظرة نارية وقال: «زيارتي للسيد اوليفنت تأجلت فقط ولم تلغ. والآن اذهبي يا أفرو فبدأحاول النوم».

ابتعدت عنه وهي تسأل نفسها عما عليها فعله. قررت الاتصال صباح الغد اليانكرا فينيشيا والطلب من لوسي المجيء، كونها الوحيدة التي تستطيع تحمين مزاج نيكولاس.

تلك الليلة وفيما نيكولاس يئن ويثألم من إصابته، اخذ يفكر بما قاله لشقيقته. نعم، زيارته الى فييلا فينيشيا لم تلغ بل تأجلت بسبب هذا الحادث. لكن يوم الانتقام آت لا محالة.

الفصل الثامن

زيارة لوسي نيكولاس صباح اليوم التالي لم تكن ناجحة من وجهة نظريهما معا.

حين وصلتها الرسالة ومفادها ضرورة حضورها الى فندق أليستون على وجه السرعة كانت مشغولة بتحضير احتياجات النهار وكانت تشعر بالغبطة والسعادة لعدة اسباب، أولاً والأهم ان صحة بلائش أولفنت كانت في تحسن مستمر وقد أخبرهم الطبيب ان بإمكانها العودة للجلوس في الصالون او التنزه في الحديقة مع نهاية هذا الاسبوع، ثانياً شعور لوسي بتوطيد اواصر صداقة جديدة مع ادريان. فقد أخبرها بقصته وكانت محط ثقته.

اطلعتها على كل شيء، باختصار ودون تأثر، لكن ما استنتجته لوسي كان عمق حب ادريان لفاليري التي رفضت الاستماع لجهته من القصة وزرعت خنجراً في قلبه، بدا من الواضح انه عانى بشدة بعد ان فسخت فاليري علاقتها به، فمسألة اعتباره رجلاً يثير الاحتقار في كيرينيا كانت مسألة صعبة لرجل بمثل كبرياء ادريان لطالما صدقته لوسي. والآن بعد ان سمعت القصة منه كانت مقتنعة تماماً بصدق روايته، وبعد انتهائه من سرد كل القصة ابتسم لها بشبه اعتذار وقال: «بالطبع لا سبب يدعوك لتصدقي، حتى الغثاة التي كان من المفترض انها مغرمة بي لم تصدقي». تلك الجملة أثارت لوسي. فلو كانت هي مكان فاليري

حينها لسانته وأزرته ووقفت الى جانبته في معركة تبرئة اسمه وسمعته.

«اصدق كل كلمة قلتها»، واطبقت اصابعه على اصابعها بصمت للحظات ثم قال: «شكراً لوسي، انا ممن لك فعلاً، من حسن الحظ ان والدتي لا تعلم بشأن ما حدث، هي عرفت بالطبع ان فاليري هي من فسخت علاقتها بي، لكنها لم تطرح اي سؤال معتبرة ان الامور لم تسر على ما يرام بيننا. وقد أخبرتها ان فاليري اكتشفت انها ارتكبت خطأ بالارتباط بها بي».

ثم وصلها الآن نبأ حادث نيكولاس حين اطلعت ادريان على ذلك اظهر بعض التعاطف وسمى الحادث «حظاً عاثراً».

سألته لوسي: «هل تمنع بذهابي لزيارته؟ فهو يرغب في رؤيتي».

اكفنى بالابتسام لها قائلاً: «يا فتاتي العزيزة، انت حرة بفعل ما تريدن والذهاب اينما تشائين».

وفيما هي تسير بين الحقول متجهة الى فندق أليستون اخذت تفكر بنيكولاس أليستون بعشاعر مختلطة، لطالما كان مهتماً ومكرساً نفسه لها. لكن الاحداث الحالية لم تقرب نيكولاس اليها، فقد شعرت بالامتناع جراء ما فعله بادريان، من الطبيعي انه يحب اخاه ويسعى للدفاع عنها، لكنه عالج الموضوع بكرامية وعدائية غير مبررة.

شعرت بالانزعاج قليلاً بوصولها الى الفندق، رأتها أفرويدت وأسرت لملقاتها. بدت عينا أفرويدت متورمتان من شدة البكاء، وانفجرت بالبكاء مجدداً فور رؤيتها للوسي.

«خسرته وانتهيت، اتعرفين ما حدث يا لوسي؟ انت العاقلة الرزينة التي تعيش في فيللا فينيشييا، اتعرفين انك تعيشين مع نذل حقير!»

«اهدا يا نيكولاس»، قالت ذلك دون اي اثر للابتسام. انشجر نيكولاس بسيل انهما مانه المحقرة لادريان، التي خلف شقيقتي ملاحقا اياها ثانية، بعد كل هذا الوقت، لم يكتف بالذي حدث في السابق... مهما كان ما تعتقده بشأن ذلك الرجل، هل تلويمينني لوغبتي في حماية اختي الصغرى؟»

قالت بعصبية: «آه نيكولاس لا تنصرف بطريقة درامية، لا تكن ميالغا جدا هكذا، انت لا تعرف الحقائق، انت لم تعرفها منذ البداية، انت اكتفيت بالاستماع لكلام افروديت عن القصة».

كان لوقع كلماتها عليه وقع البركان، فبدأ يتفجر متسائلا ما الذي تعرفه لوسي عن القصة؟

قاطعه لوسي هنا قائلة: «هذا هراء، كان جاثيا قريبا محاولا إعادتها الى رשدها ووعيتها، فقد غابت عن الوعي بسبب نوبتها الهستيرية».

رد نيكولاس بحرارة: «هذا ما يقوله هو».

«ولم لا اصدقك هو؟»

«ولم لا اصدق اني اختي المسكينه؟ وعلى كل حال لما اتى الى هنا سعيًا وراءها البارحة، واصطحبها الى بستان الزيتون؟»

لهضت لوسي وهي تشعر بوفاء عظيم نحو ادريان.

نيكولاس انت غيبت الامر بطريقة معكوسة تماما.

لكن المسكينه الأنسة برايت، حتى هي تخلت عنه.

انتحيت قائلة: «ينوي أخذني الى اثينا وابقائي هناك الى الابد فور تحسن حالته، آه، أنسة لوسي هو يستمع لك، ارجوك، اتوسل اليك اطلبي منه الا يبعدني عن كيريتيا».

قالت لوسي: «الآن يا افروديت لا انوي توسل نيكولاس لاجلك وسأخبرك بكل صراحة بالسبب فالدعش مع عمك، في اثينا هو بالخطي ما تستحقين».

توقفت افروديت عن النحيب وحدثت بلوسي بذهول تام. سألت بحقيق: «لم انت غاضبة مني؟»

«لأنك لا تقولين الحقيقة، وقد تسببت من جراء ذلك بإيذاء احدهم والذي كان طيباً معك وصديقاً لشقيقك».

يا لها من فتاة مجنونة! هي مصممة على الاستمرار في الكذب، لكن الغضب منها ليس هو الحل لتصحيح الامور، عليها التفكير في طريقة اخرى.

صعدت لوسي الآن لرؤية نيكولاس. كان نيكولاس مستلقيا على السرير والضمادات تغطي رأسه وطرف وجهه. خصلة واحدة من شعره الأشقر كانت تتدلى على جبينه. حاول الا يتسام فور دخولها وقال بصوت مبجوح: «شكراً لك على المجيء، لوسي».

«نيكولاس انا شديدة الأسف لما حدث لك».

حاول النهوض قليلا والالتكاء على مرفقه قائلا: «كنت اموت يا لوسي... انت لا تعرفين كم عانيت».

«يجب ان تكون في المستشفى وليس هنا».

«لا اتكلم عن اصابتي الجسدية... فالآلم الجسدي لا يهمني، عذابى هو عذاب العقل».

شعرت لوسي بالارتباك وقالت بابتسام: «ميا نيكولاس لا تخسر حسن الدعاية والمرح لديك».

الاحراج في حياتها. وكانت الدموع تفرقق فعلا في عيني نيكولاس لم تترك الا الآن عمق العاطفة التي اشعلتها في قلب هذا الشاب اليوناني.

رفع وجهه المليء بالرضوخ اليها قائلاً بتوسل: «لوسي، لوسي لا تدعي هذه المسألة تحول بيني وبينك. انت مهمة جدا في حياتي الآن.»

هزت رأسها وقالت: «آه، نيكولاس، انت... انت... آه، لا اعرف، لكن ان اردت حقاً ارضائي فعليك تسيان موقفك هذا نحو السيد اوليفنت، اتى الى هنا البارحة كي يسأل أفروديت المساعدة في تبرئة اسمه، لا كي يسعى خلفها كما قلت انت.»

«انت على خطأ.» صاح نيكولاس وأفلت يديها: «طلب منها الذهاب الى مرسى كي يعاود رسمها ثانية.»

غير صحيح.

وانت... انت محامي الدفاع عنه؟

هذا شأني الخاص.

وانت الا تهتمين مطلقاً لي؟

نيكولاس، انا لست مغرمة بك وانت تعرف هذا تماماً.

لكن لا سبب يمنعك من ان تكوني كذلك يوماً ما.

ارجوك، انت قزير من صعوبة الأمور.

لكنك كل حياتي الآن.

صلت صامنة وقد اثار هذا جنون نيكولاس فقد عاد ليسأل عصية: «هل انت متعلقة جداً بأدريان؟ لم عليك تحطيم قلبك؟ هل ولأنك لا أدريان هو السبب في ابتعادك عني؟ هل أدريان اوليفنت هذا هو السبب ليس فقط في تحطيم سمعة أفروديت بل وفي انفصالنا عن بعضنا؟ ألم تكن

فقد اعتقدت انه فعلاً قد اغوى شقيقتي.» ابتسمت لوسي ببرود وقالت: «الأنسة برايت المسكينة كما تدعوها لم تعرف ابداً حقيقة ما حدث.»

«ان الجميع كان كاذباً باستثناء السيد اوليفنت؟»

هزت لوسي كتفيها وقالت: «لا اظن هناك فائدة ترجى من مشاركتنا الطفولية هذه ظننت اننا اصدقاء يا نيكولاس لكن من الطبيعي انك ترغب الآن بوضع حد لهذه الصداقة.»

تهض نيكولاس مجدداً عن السرير وهو يصر على اسنانه: «انت وليس انا من يريد انهاء صداقتنا لوسي، اما بالنسبة لأفروديت فلا اظن انها تنجراً وتكذب عليّ بوقاحة هكذا. لم اصدق كلمة أدريان واكذب اختي؟»

«هذا صحيح لم تفعل؟ انا لا املك على تصديقك للكلام اخذك.»

«وانت... لم تدينين بالولاء للسيد اوليفنت؟ هل لآنك تعملين لديه تقفين معه ضدي، فيما انا احبك بكل جوارحي.»

تضرجت وجنبا لوسي. هذا مريب جداً. وبالطبع لا يسعها ان تشرح لنيكولاس اليستون ان سبب دفاعها عن أدريان اوليفنت هو حبها العميق والشديد له، فهذا سرها، سرها الخاص والمعتوق ان يعرفه احد ولا حتى أدريان اوليفنت نفسه.

«اظن من الافضل لي الذهاب.»

امسك يديها قائلاً: «لا تتركيهني وانا شديد المرض هكذا. وانا اتألم بشدة لوسي. مسألة شقيقتي هذه بيني وبين السيد اوليفنت، هي لا تعنيك، انا احبك يا لوسي. وانت تعلمين ذلك.»

حاولت سحب اصابعها من بين يديه، فهي لم تشعر بهذا

بالفي السعادة معاً قبل وصول أوليفنت إلى كيرينيا، صمت نيكولاس قليلاً ثم تابع بصوت خافت وعينه تترقان بشدة: «إنه رجل خطير يجب القضاء عليه». استدارت لوسي متجهة نحو الباب، شعرت بالغضب يغلي بداخلها فقد خاب ظنها به. لن تقف هنا لتسمعه يشتم ادريان.

استدارت بوصولها إلى الباب وقالت له: «أنا زاهية يا نيكولاس، لا اظنك بومك الآن، حين تتحسن ويخف شعور العنف البقيض هذا لديك، فقد نعاود الحديث ثانية، إلى اللقاء، أمل أن تتحسن صحتك سريعاً».

صرخ منادياً إياها بهستيرية: «لوسي! لوسي! لكنهما لم تتوقف وتابعت نزول السلالم وإلى الخارج، أفروديت كانت هناك تجمع الأزهار للسواح، رمت لوسي بنظرة مرعوبة وحافظت على تلك النظرة وهي تسمع صراخ نيكولاس منادياً الفتاة الانكليزية.

وضعت لوسي ذراعها على كتف أفروديت وقالت: «انصحك يا أفروديت بالانجباء جيداً لما تقولينه في المستقبل، بأكاذيبك الغبية ستؤذين كل من حولك، ولا اظنك قادرة على العيش بضمير مرتاح حتى تعترفين بالحقيقة حول السيد أوليفنت».

لم تحب أفروديت بل رمت لوسي بنظرة كره سوداء رأت لوسي ذلك وعض قلبها.

همدت الآن صبيحات نيكولاس، كان يصبر على اسنانه ويقبض على الملاة بأصابع مثنجة. الآن هو يكره ادريان أوليفنت أكثر من السابق، فهو من أبعد لوسي عنه وصاح نيكولاس بصوت مرتفع.

«سأراك حين تتحسن حالتي يا ادريان أوليفنت، وهذه المرة سواء اكانت والدتك العجوز في المنزل أم لا فسأصطحب معي كل اصدقائي ونجعتك تدفع الثمن...»

كانت الايام الثلاثة التالية مليئة بالمرح والسعادة تبعاً لتحسن حالة السيدة بلانش أوليفنت.

كان ادريان يحملها كل صباح إلى الشرفة حيث تجلس على كرسيها المفضل هناك للاستمتاع بمنظر الحديقة الغناء واخبرتهم انها استعادت عافيتها تماماً وأنه ما من داع للقلق أو الخوف، لكن لوسي كانت قد اعتادت على صبر السيدة الكبيرة التي كانت تستخف بآلامها وازجاعها. واخذت لوسي تنضي المزيد من الوقت برفقتها أو بعزف البيانو لها.

كانت غبطة السيدة أوليفنت الكبرى كما اخبرت لوسي في نهاية ذلك الاسبوع رؤيتها واحساسها بالتغيير الكبير الذي طرأ على ادريان.

«وكانه عاد إلى طبيعته القديمة مجدداً ويهدو عليه السعادة فعلاً بعودته إلى كيرينيا، اظنه قد يعاود الرسم ثانية فقط مع بعض التعديلات» قالت ذلك وهي تبسم للوسي.

فوافقتها لوسي قائلة: «اجل هذا صحيح».

كانتا تجلسان معاً في الحديقة. كان هذا صباح يوم رائج كالعادة في كيرينيا، كان ادريان قد ذهب إلى البلدة، وكان قد اسر للوسي انه سيأخذ بنصيحتهما وسيحول في البلدة هنا وهناك كما كان يفعل سابقاً ومع ان أفروديت مصرة على عدم اليوح بالحقيقة، الا انه الآن مصمم على تجاهل ذلك.

«وافقك الرأي يا لوسي، افضل الطرق هي البرهان لكل

اولئك الناس في قبرص انتي لا اكثرث لما يقولونه عني. فانا اعرف تماما انني بريء. وكل ما كنت اقوم به من تحاشي الناس في كيرينيا والابتعاد عن كل امالي قبرص والسفر الدائم كان يثبت ما قيل عني ولا يناقضه.»

كما وانه قد اخبرها انه منذ حادثها واطلعتها على كل شيء غمره اندفاع بالنظر الى الحياة من منظور جديد. وقد ادرك ان تصرفه بالطريقة السابقة كان دليل ضعف واستسلام فعلاً.

واعترف لها ايضا ان فكرته ببيع محتويات الاستديو خاطئة تماماً. بإمكانه تدمير لوحات أفروديت وقاليري وليس اي شيء آخر ولم لا يعيد النظر في فكرة الرسم ثانية في المستقبل؟

«لم لا ارسمك انت يا لوسي؟» اقترح بابتسامة خفيفة. وتذكرت لوسي الشعور الغامر الذي غمرها بنطقه تلك الكلمات. امن الممكن انه يجدها جميلة او جذابة كفاية ليقوم برسمها. ونظر اليها بنظرة فاحصة نافذة قائلاً «شعرك الملوح هذا، وجهك الانثوي الدقيق الصالح. وتلك العيتان الذميتان لهما جمالهما الخاص يا عزيزتي لوسي.»

هزت رأسها قائلة «عليك احضار فتاة أخرى لمتجلس امامك وترسمها، فتاة اكثر جمالا وجاذبية.»

اجابها بسخرية: «لنت كفايتي ممن تسميهم اكثر جمالا وجاذبية. انت من لديها الكثير الكثير. وهذا نقاش مفت.»

وقعلا انتهى النقاش عند جملة تلك، لكن احدا لم يلمس الاستديو. وقد ادركت لوسي ان تلك علامة من إعادة تأهيل اندريان النفسي للعودة الى الحياة.

كما وكان هناك اشارات اخرى، كتجديد دعوته لها بالذهاب الى المهرجان في لارنكا. وكانا سيذهبان بعد الغد الى هناك واخبرها انه لا يكثرث لأي كان ممن سيراها هناك. وبالنسبة لغاليري فهو مستعد لرؤيتها ورؤية زوجها وجبها لوجهه، فمن المؤسف حقاً اعطاء غاليري الانطباع انها لازالت تسيطر عليه وتثير اضطرابه. وكان هو احقاً بإعطائها ذاك الانطباع حين التقى بها في النادي ذلك اليوم.

كل هذا أصابة الى نفخة المرح التي صارت تكون شخصيته منح لوسي والدته الكثير من الرضى، حتى انه لم يكلف نفسه عناء سؤال لوسي عما حدث معها مع نيكولاس وأفروديت صباح ذلك اليوم.

«نيكولاس شخص جدي لا بأس به لكنه غارق في سوء الفهم.» قال اندريان ذلك وقد وافقه لوسي على ذلك. لكنها لم تنفته من آل اليستون بعد. فقد عاهدت نفسها على دفع تلك المجنونة أفروديت كي تعترف بما ارتكبتها بحق اندريان.

نظرت السيدة اوليفنت من خلف نظارتها السوداء الى الفتاة الرقيقة الجالسة قريبا والمسترسلة بسعادة في اعمال الحياكة وفكرت كم كانت محظوظة بإحضار اندريان لهذه الشابة الى كيرينيا. فالأم صارت متعلقة جدا بها وتحبها حبا جما وكانها ابنتها. قالت السيدة الكبيرة: «انت لم تذهبي لرؤية اصدقائك الامريكان منذ فترة يا حبيبتي. الا يزالون في فندق الدوم؟»

ردت لوسي قائلة: «لقد قابلت كارول وزوجها اثناء تراني للحاجيات من البلدة. لكن حاليا لديهم بعض

الأصدقاء من الولايات المتحدة وهم منشغلون بهم.»
نظرت السيدة أوليفنت إلى شجرة الزمان المميزة عندها
وقالت «اتصني وصول رجل مميز إلى كيرينيا. رجل مميز
لا جلك انت يا لوسي.»

ردت لوسي بضحكة: «أنا غير مهتمة إطلاقاً بالشبان.»
«أنا مجرد عجوز رومانسية يا حبيبتي، لكنني أشعر أنك
تضيعين شبابك ورققت بقضائك كل الوقت برفقتي هنا.
رغم أنني شاكرة لوجودك معي...»

«أنا بالغة السعادة والرضى برفقتك هنا وأنت تعلمين ذلك.
انظر إلى عملي السابق في السفارة في القاهرة وإلى الوقت
الممتع المقترض بي قضاءه برفقة هذا الشاب أو ذاك على
أنه وقت فارغ ولا معنى له من حياتي ولا أتمد عليه.
فحياتي الحقيقية بدأت لحظة وصولي إلى كيرينيا. تعرفين
عن لهفتي وتوقتي للمجيء إلى قبرص. الآن فقط عوفت سر
ذاك التوق وتلك اللهفة.»

مزت السيدة أوليفنت رأسها بإبتسام قاتلة:

«أنت بالغة الرقة يا لوسي وفريدة من نوعك فعلاً، لكنني
لا أزال اعتقد أنه من غير الطبيعي ألا يكون لك صديقاً من
الشباب.»

مجدداً علماً الاحمرار وجه لوسي وقالت «أنا... أنا لا أريد
ذلك.»

«الم يسبق لك أن وقعت في الحب يا لوسي؟ كنت أصغر سناً
منك حين رأيت والد أدريان للمرة الأولى. كان رجلاً رائعاً
ويشبه أدريان كثيراً من عدة جوانب. مع سلاسل القسوة
والصلابة التي تظهر عليه إلا أنه شلال دافق من الحنان
والرقة في الداخل. ألم تمنني هذا الحنان من قبل أبداً؟»

شاحت لوسي بنظرها بعيداً كي لا تكشف عيناها سرها
ولم تعلق. فتأملت السيدة:

معظم الفتيات تحلمن بالزواج وبالمزول الزوجي هل أنت
تواذ القاعدة يا لوسي؟»

لا، لست كذلك سيدة أوليفنت، فأنا أريد فعلاً بالزواج
والاستقرار في منزلي وأنجاب الأطفال، أنا أعشق
الأطفال.»

هكذا الآن. جاءها صوت أدريان على حين غرة.

جلس أدريان على الكرسي قرب والدته وأصعاً في حجرها
يريد.

رسالتان وما يبدو أنه رسالة من الأنسة ليتل. اليس هذا
خط جيرتروود الدقيق؟»

جل أنه خط جيرتروود بالفعل.»

بسم أدريان للوسي شارحاً: «جيرتروود هي المرافقة التي
سبقتك يا عزيزتي لوسي. فتاة مشعة كنت مولعاً بها إلى
حد الجنون وهذا ما كان يديني حبس فيللا فينيشيا على
دوام.»

ردت السيدة أوليفنت إليها بنظرة تعنيف وقالت «أدريان لا
تسخر من المسكينة جيرتروود. كانت غير جميلة نعم لكنها

كانت ذات شخصية طيبة، هي دوماً تواسلني بإخلاص.»

ضمت عينا أدريان الضاحكة على لوسي المشاغلة بعملها
في الحياكة وقال «أوه، حسناً، بما أن لوسي تناسبك تماماً

يا أمي فاعلمي الانصياع لرغبتك، لكن قلبي سيبقى دوماً
مع جيرتروود. وسأكون مضطراً لأصطحب لوسي إلى
شهرجان.»

تسمرت لوسي الآن وقالت: «لا داع لتصطحبيني إن لم تشعر

برغبة في ذلك، توسعي الذهاب وحدي وإيجاد مرافق ما يعرف قيمتي، ولتبقى لك جرثود.»

قالت السيدة أوليفنت «هيا انكما الآن، لا يسعني الاستماع لسخريتكما من المسكينة جرثود.» ابتسم ادريان بطريقة ودية للوسي وقال: «لا، لا اظن من الحكمة تركك للذهاب بمفردك الى هناك، فالسادة عامة، بمن فيهم القيارصة يفضلون الشقراوات، وحينها لن نتكلم ابدا من استعادتك وماذا سيكون حال فيللا فينيشيا من دون لوسي؟»

«في يوم من الايام سيأتي غريب وسيم ويخطفني بعيداً عن الاستبداد الذي يحيط بي في خدمتك.»

«يجب شق المستبد! انت مرلبة جدا في فيللا فينيشيا اليس كذلك يا امي؟ هي من يستبد بنا، علينا جميعا تنفيذ ما تأمرنا به.»

«هذا هراء يا حبيبي.» قالت الوالدة وهي مشغولة بقراءة الرسالة ولا تسمع نصف ما يقوله.

تهضمت لوسي وقالت: «حان الوقت لذهابي لتفقد الغداء الساعة شارفت على الواحدة ظهرا.»

«عودي واخبريني المزيد عن هذا الوسيم المجهول.» قال ادريان ذلك وعيناه الزرقاوان تحفظان اليها بمرح «ولا تنسي انه عليك استشارتي عندما يحين الوقت نظرا لانك تعيشين تحت سقفني، وثحت حمايشي، يجب ان اتفحص عريسك المسدقيلي.»

غاص قلبها بين ضلوعها لهكذا حديث وزمت شفيتها قائلة: «ستتم استشارتك عندما يحين الوقت.»

وفيما ابتعدت نادها قائلاً: «ستطالب حينها بمهلة شهر

اجبارية لا تغايريتها بذلك على حين غرة لوسي.» سمعته لكنها لم تجبه، كانت مذهولة للدموع التي انهمرت من عينيها وقلبها يفتض بشدة داخل ضلوعها، هي تحبه حيا حيا وهو بالكاد يهتم لاسرها، يا لي من حمقاء وبلهاء، باعطاءها قلبها للشخص لا يريده ولم يسألها ان تفعل.

الفصل التاسع

قال ادريان اثناء الغداء: «ارغب بتجربة آلة التصوير الجديدة الرائعة التي اشتريتها من القاهرة حديثاً. وقد تعلمت القليل عن تصفية الاضائة وما الى ذلك. مارأيك بزيارة الى سانت هيلاريون؟»

اجابت السيدة اوليفنت: «سبق لـلوسي ان ذهبت الى هناك». ردت لوسي بسرعة: «نعم صحيح، لكنني اضطررت للعودة سريعاً دون مشاهدة كل الجمال الموجود هناك حين كنت برفقة كارول.»

نظر ادريان اليها وقال: «الم تصلني الى قمة الجبل؟» «لا...»

وتذكرت كيف منعتهما فاليري بقرئتها من التمتع برؤية المكان وكيف افسدت عليها الرحلة بسمومها. تابعت لوسي قائلة بصراحة: «لا افضل عندي من الضباب مجدداً الى سانت هيلاريون حيث ستكون انت دليلي السياحي ادريان.»

«أنا سؤي الامر، سننطلق الى هناك بعد الغداء.»

صعدت لوسي لتغيير ملابسها والمعدة تفحصها وقد نسيت تماماً استيائها من إغاطة ادريان لها حول زواجها المستقبلي.

كانت ستري سانت هيلاريون بعيون جديدة هذه المرة فدليلها واسع الثقافة والمعرفة هذه المرة...

حيثا المسؤول عن القلعة ادريان بحرارة يعكس ما يظهره

معظم الاهالي وقال باعذار: «السيد اوليفنت يعرف عن القلعة اكثر مما اعرف انا نفسي عنها.»

كان الثلاثة يتقنون امام مدخل القلعة حيث تقع غرفة المسؤول عنها. وكانت الغرفة مليئة بصور القلعة والبطاقات البريدية التي تصور القلعة من عدة جهات. لكن الشاب لم يكن يهتم بالتجارة قدر اهتمامه بإظهار شاريع هذا المكان القيصي الهام.

استدار ادريان نحو لوسي قائلاً: «تعالى سنصعد الى الجبل.»

لم يتبعها الشاب، وصعدا ببطء الطريق المتعرج. كل شيء في الاسفل كان صامتاً وحاراً لكن في الاعلى كانت الرياح تهب ببرودة منعشة على وجه لوسي الحار. نظر ادريان اليها وضحك قائلاً:

يا لك من سلحفاة! الا يسعك الاسراع قليلاً؟» «بلى.»

واسرعت الخطى فيما توقف ليشير الى بقع جمالية لم تكن في متبعية لها. مرّا بثلاث قناطر تشكل شبه مداخل تسام القلعة الكاملة واخبرها ادريان انه اثناء حصار قلعة حين كان ريتشارد قلب الاسد محتماً بها، كان لكل سم هنا دفاعاته الخاصة وحراسه الخاصين إضافة الى خازنهم الخاصة وأبار المياه أيضاً.

عنت لوسي بسعادة: «لكنكم كنتم محظوظين! نحن في مكان هادئ وكاننا بلغنا النجوم. المكان هنا هادئ جداً.» «حارب.»

سأطأ ادريان برأسه موافقاً واصلح وضع عدسة آلة تصوير. «وافقتك الرأي تماماً. لطالما فكرت بأخذ مكان

صديقنا المسؤول عن القلعة والبقاء هنا بعيداً عن كل حضارة».

«سأرائك أنا أيضاً» ردت لوسي بضحك.

«أفلك ستسامين هذا بعد حين وتهرعين الى احضان الحضارة ثانية».

«لا اخلتني سأفعل».

«لا تحركي ابداً من فضلك».

قال ذلك وهو يوجه آلة التصوير اليها حبست انفاسها فيما قلبها يتراقص داخلها. حقا كانت هذه من اسعد الاوقات في حياتها، وجودها هنا مع ادريان في جبل النجوم هذا بعيداً عن العالم بأسره.

تسلقا الى أعلى قمة. وحين اخذ الحمال لوسي اسرعت بخطاها على الحافة الخطيرة كانت ان تسقط تسارع ادريان لشدها من ذراعها مبقيا يده حول كففيها اخبرها بقصة ثانية عن القلعة فيما هي تشعر بحرارة يده حولها... وبقربه منها.

نزلت بطريق العودة تاركة القلعة وظل سحر هيلاريون حولها فيما هما يتعدان بالسيارة. ظلت صامتة ولاحظ ادريان التبدل الذي طرأ عليها.

«هل انت سعيدة؟»

«بالطبع، لازلت تحت تأثير البحر لم ارجع بمقادرة سانت هيلاريون».

«أفنتي التقطت صوراً رائعة. واحدة او اثنتان فقط لك».

قالت: «اكره الظهور في الصور. لكني اتمنى بشرق الاحتفاظ ببعض الصور للقلعة».

«سأعطيك نسخة عن كل الصور».

كان هذا يوماً مميزاً في حياة لوسي. فبعد كل الوقت الذي قضته مع ادريان وعودتهما الى المنزل فيما شمس الغروب تسبح السحب بلون الشفق، عاد ادريان ليدعوها الى نزهة سائية في الساسة والنصف.

استرق حبيبتى لوسي معك» قالت والدته ذلك بعتاب ربي تشعر بالسعادة العارمة بداخلها لاهتمام ادريان محددا بالحياة.

نكرت باصطحاب لوسي لاحتساء الشراب في مقهى صيلاء».

لوسي التي كانت لا تزال تحت تأثير زيارة سانت هيلاريون. كانت اكثر من مستعدة لقضاء المزيد من الوقت - ثقة هذا الرجل الذي اصبح اهم واغلى ما لديها على هذه الأرض.

بها وانه، اليس كذلك؟» علق ادريان وهو يشعل سيجارته يطره على السفينة.

ما اكرة الرحلات البحرية. فهي تذكرني بالحرب. اريد ان نود الى سانت هيلاريون».

شم قانلاً: «اعتقد حقاً انك وقعت تحت سحر القلعة» ست بحرارة: «انا فعلاً كذلك».

صطحبها الى نادي الصيلاء، وهو بناء حجري جميل تديره زوجة ضابط انكليزي متقاعد. كان هناك بعض الاشخاص من المهني.

ست الا يلتقيا بأي شخص من معارف ادريان. حيثه مريحة المكان بمودة وإثنان من بعارة السفينة.

دخل ادريان فوراً معهما بحادثة ودية. جلست لوسي في كرسيها وهي ترمقه بتطلاتها، لم يسبق لها ان رأت

ادريان مرتاحا واجتماعيا وسط الحشود هكذا. وما هي الا لحظات حتى تجمع كل السحابة حوله وهم يضحكون ويقرشون.

بعد مرور ساعة قال ادريان لـلـوسي «علينا العودة الى المنزل الآن كما افترض».

«أنا جائرة» ودعا الجميع وغادرا المكان عاندين الى فيلا فينيتشيا.

«استمتعت بذلك».

وافقت لوسي «وأنا ايضا».

«شاب رائع ذاك البحار».

«لا بأس به» علق لوسي بعدم اهتمام.

ضحك ادريان قائلا «الا تفكر ان بضاعت قلبك الآن بالتحدث عنه؟ كان شابا وسيما ويبدو انك أثرت اعجابا به».

«حقا؟ انا لم انتبه».

بعد لحظات غرقت في الصفات ولم يستطع ادريان اختراق حاجز صمتها هذا.

لكن بالنسبة له انتهت فترة التعباسة والانزواء بعيداً عن العالم وعن الحياة.

اصطحب ادريان لوسي في صباح ذاك اليوم الرائع الى المهرجان في لارنكا لم تفكر ابداً بحدوث اي متاعب، فبهر كانت سعيدة لأقصى درجات السعادة. وكان ادريان كل يشاركها حماسها اليافع هذا. فقد جعلها السيدة اوليفر تفهقه ضاحكة بدخولهما وخروجهما من غرفتها ذلك اليوم لسؤالها عما عليهما ارتدائه.

في النهاية اختارت لوسي تنورة بيضاء وبلوزة قطب

بيضاء رياضية وحملت معطفها الرقيق الأزرق وقبعتها كبيرة.

كان هناك المئات من السيارات على الطريق اليوم. وكان حشد بأكملها ذاهبة الى لارنكا اليوم لحضور المهرجان.

في ادريان على مسامعها بعض تاريخ الجزيرة أثناء حديثهما الى لارنكا. استمعت اليه فيما عينيها الحالمتين خزان من خلف نظائرها السوداء الى الجمال الممتد في جانبي الطريق. وجدا نفسيهما الآن وسط موكب من عربات الخيل والحمير وسيارات يقودها القبارصة منهم التقليدي.

شبه وصولهم الى لارنكا غرقوا وسط ازحام سير خائف. بعدة رأت لوسي سيارة أمريكية كبيرة بداخلها اربعة من ركاب آل ديكستر واصدقائهم آل فاندرلايت.

لمت لو يتمكنوا من السير قدما قبل انتهاء الآخرين لهم. ثم تحققت اميتيتها فغور انتباهه فاليري لهما تحركت به رتبهما صبتعدة تنفست لوسي الصعداء لكن فور صرلها الى الشاطئ وانتهائهما من ركن السيارة عادا تنيا بالمجموعة الرباعية ذاتها. فقد وجد السلة انفسهم في سعين كنفه يكتف مع الحشود الكثيرة المتوجهة نحو بحر الميتلي. بالقوارب الصغيرة وكانت الخيم النطونة كبيرة قد زرعت على طول الشاطئ».

في عيادة لوسي تبددت حين رأتهما فاليري، وبعد همسها عن كلمات في انز زوجها الذي هز كنفه بعدم اهتمام. ثم هي باتجاه خطيبها السابق.

لمت فاليري «مرحبا! اليس هذا ممتعاً؟»

لما كان ديكنس معجبا بصديقة زوجته الانكليزية،

فقد انحنى الى الامام وهمس للوسي قائلاً: «يا عزيزتي لم يكن بوسعك الحصول علي مرافق اكثر تسلياً» احمرت وجنتا لوسي وحاولت ان تحافظ على حبسها المرح وقالت: «لا بأس به، شكراً لاهتمامك» نظر الى زوجته متسائلاً: «ما خطب صديقتنا العزيزة لوسي يا كارول؟»

تجاهلت لوسي هذا ونظرت الى ادريان وغاليري، فاليري كانت من يتكلم وبدا ادريان غير مهتماً. كان يبئسهم لكنها ادركت ان اهتمامه كانت جليدية وعيناه الزرقاوان جامدان.

«الا يمكننا ان نكون اصدقاء؟» تمتعت بدلال «لقد سامحتك.. لم لا زلت غاضباً جداً مني؟»

قال: «لم اسيء اليك لذا لا داع للسماح»

رمت اليافقين بنظرة سريعة وحين وجنتهم يتحدثون معا اقتربت اكثر من ادريان وقالت:

«لا تدعنا نبدأ مجدداً بذلك العراك القديم، فهذا غير مجد. ما يهم هو الحاضر. فقد كان مقدراً لنا الالتقاء مجدداً، لنستفيد من هذه الفرصة قدر المستطاع»

«شكراً جزيلاً لك لرغبتك في ضمي الى عائلتك سيده فاندرا لايت، لكن لدي لوسي مخططات اخرى. والآن، اعذرينا»

استدار وتأبط ذراع لوسي متابعاً: «هلا تابعنا سيرنا؟ هناك ما اود ان اريك اياه الى اللقاء جميعاً، ربما نراكم لاحقاً»

ابتسمت كارول لديكس وقالت: «أه! لقد تخلى ادريان عن رفقته»

أه، انه يغير مللي. قال فاندرا لايت وشارك ديكس الضحك. لكن وحدهما فاليري بدت غاضبة. وتمتمت: «انه يغير اسمنازي»

سألها كارول: «ما الذي كان يقوله لك؟»

أه، الكثير من الهراء حول رغبته في ان اسامحه. لكنني اخبرته انني غير مستعدة لمناقشة الماضي. يا له من منافق! لا بد ان لوسي يائسة لمرافق ولهذا فهي برفقته اليوم»

يا للوسي المسكينة! هي لا تحظى بفرصة مرح ابداً. لكن نظرات فاليري المضطربة ظلت تلاحقه وهو يبتعد مختفياً بين الحشود. وادركت الآن أنها لربما اخطأت بالتخلي عنه لصالح بوب فاندرا لايت.

والآن يعد ان رفضها ادريان اشتعل التحدي داخلها لإعادته اليها.

انضم ادريان ولوسي الى الجموع ولم يذكر ادريان اسم فاليري ثانية امامها كما وانها هي ظلت صامته بشأن ملاقاتها للامريكيين. فسعادتها كانت اكبر من الاهتمام بهذا اصلاً.

توقف عند محل لبيع الحلويات واشترى للوسي علبة صورة أفروبيت، رمز الحب، داخل صدفة.

قال: «هاك عملاً فنياً رائعاً من وحي المناسبة»

«أه، شكر لك، سأحفظ بهذا طيلة عمري»

اقترح ادريان: «سنذهب رحلة في القارب لاحقاً ان رغبت. فالمنظر الليلة سيكون رائعاً فعلاً بوجود الشموع داخل كل قارب على الشاطئ. انظري يا لوسي بدأت الالعاب الزارية هناك»

خلا يراقبان تفجر الألوان الرائع ليضع دقاتي ثم تابعا السير. رأت لوسي فتاة صغيرة بثياب تقليدية تبكي قرب مكان لبيع العقود والاقراط... كان عمر الفتاة يناهز الخامسة وكانت تبكي بحرقة.

فسارعت لوسي اليها واحتضنتها قائلة: «لم تبكين يا صغيرتي؟ لا يفترض بأحد ان يبكي او ان يكون حزينا اليوم بالذات! هيا ابتسمي».

هزت الفتاة رأسها وتابتعت البكاء فهي لا تفقه لغة لوسي واخذت تشير الى الكشك والى البائعة.

انهزم سيل الكلمات من المرأة وتبرع ادريان بالترجمة.

«الفتاة تريد شراء عقد من الصدف وبما ان ما لديها من مال لا يكفي لشراؤه فالبائعة غير مستعدة لاعطائها العقد».

«أد ايتها الصغيرة المسكينة! أنا سأشتريه لك».

«لا، أنا من سيشتريه ليا» رد ادريان ودفع ثمنه وألبسه

للفتاة الصغيرة التي توقفت عن البكاء ثورا. ابتسمت الصغيرة له وهي تلمس العقد وفي تلك اللحظة اقترب منهم رجل

رمى نيكولاس بنظرة شارية وبدأ بالكلام مع البائعة. سارعت الصغيرة للانفراج نحوها فأدركت لوسي انه والدها. قبلها الوالد ثم انزلها ارضا وتناول قطعة نقدية من جيبه رماها لأدريان وانزع العقد من على صدر طفلة فتدافعت الاصناف على الارض فيم سيل الكلمات الغاضبة لا يزال ينهمر من فمه. عاد صراخ الفتاة ليرتفع فيما والدها يصرخ على ادريان.

لم تفهم لوسي شيئا مما يحصل لكنها رأت تحول وجه ادريان للأبيض ورأت قبضته تشد.

سارعت نيهضات قلب لوسي واقتربت من ادريان متوسلة: «لنذهب من هنا، ارجوك... ارجوك... لنذهب».

مع الرجل طفلة الباكية وسار مبتعدا. عادت البائعة تحدث وقد ظهر عليها الاستياء.

«ادريان» هتفت لوسي بتأثر: «لم كل هذا؟»

غذايا عزيزتي لوسي مثالا عن شعبيتي في قبرص، رجل صديق حميم لنيكولاس. انزع العقد من صدر طفلة قائلا: انه لا يسمح مطلقا لابنته بتقبل الهدايا من رجل انكليزي خائن معروف بإغواء الفتيات».

تبقت لوسي وشعرت بالحرارة تتفجر في داخلها.

أد يا ادريان» همست باسمه بحزن وتأثر «اذن، هل رأيت لأن سبب اعتكافي وعدم رغبتني في التجول في قبرص، بهذا ما سيحدث لو فعلت. وإذا كنت برفقتي فالكلام السيء يطالك ايضا. الا تظنين من الافضل لنا العودة الى المنزل الآن؟»

الفصل العاشر

فلت لوسي صامئة فأضاف اديان: «من المؤسف انفسار يومك السعيد هذا هكذا، اظن الواجب علي تجاهل ما حدث ومتابعة النهار هذا، لكن ما حدث كذرتي وأفسد مزاجي حقاً.»

ردت لوسي بصوت خافت: «هذا طيبعي.»

حول انشياحه الآن عن نفسه وعن كيرياته الجريح الى وجهها هي ملاحظا التغيير الذي طرأ عليه، اجل تغير كثيراً منذ غادرا فيللا فينشييا هذا الصباح، فلم يفته حينها ملاحظة اشراق وجه لوسي وجماله الرقيق، الآن كانت الحيرة تلون عينيها. وهذا ما جعله يشعر بشيء مفاجيء نحوها، كانت عزيزة جداً عليه، وبالفرة الطيبة والرفقة مع والدته وسعة ايضاً، نادرا ما اخذت يوم عطلة وكانت تتطلع بشوق الى يوم المهرجان هذا، لما يسحبها بعيداً عن المكان بسبب قبر رضي جاهل قام بلهائته؟

تنهدت لوسي وقالت: «كما تريد يا اديان، انا مستعدة تماماً للعودة الى المنزل.»

«يذلت رأيي! لن نعود سنتابع الاحتفال.»

انفجرت اسارير لوسي وارتفعت معنوياتها لكنها نظرت اليه بتعبير غير متأكد وسالت: «آه، اديان هل انت متأكد؟»

«متأكد تماماً، هيا تعالي، سنسير على الشاطئ، وليموتوا غيضاً كل هؤلاء الناس.»

هذا بالضبط ما ارادت سماعه.

بعد ساعة من السير، لم يتفوه اديان خلالها بكلمة واحدة

نظر فجأة اليها ولاحظ تعب خطواتها، كانت قد انتزعت ثيبتها واخذت تمسح جبينها. بدت منهكة، لكم كان عديم التفكير، جاءلاً ايأها تسيير كل هذا الوقت دون لحظة راحة، يجب ان اعاقب، تبدين متعبة جداً، سامحيني ارجوك.»

صحكت بارتباك وقالت: «السير كان متعباً بعض الشيء، لقد قطعنا مسافة طويلة بعيداً عن المهرجان.»

نظر اديان الى الخلف وتفاجأ للمسافة التي قطعها.

لقد وصلا الى مكان معزول، حيث الرمال ساخنة ورائحة البحر ممتد الى ما لا نهاية.

هذا ما نحتاج اليه تماماً، لا يوجد اي انسان على مرمى البصر، والأمواج وحدها رفيقنا، اخذني حذاءك ولنستلق قليلاً هنا في الظل بوسلك النوم قليلاً قبل متابعة سيرنا الى وجبة الغداء.»

بدأ شعور لوسي يتحسن، رمت بنفسها على الرمال متنهدة بعمق ورضى.

«آه، هذا رائع بالفعل.»

جلس قريبا محرقاً بالبحر وقال بتفكير: «عندما افكر بالامر، ادرك انني لا اعرف الكثير عنك مطلقاً يا لوسي، انت من النوع الذي لا يظهر مشاعره.»

«اظن ذلك.»

«انت هادئة وساكنة كهذا البحر، ماذا عن حياتك الخاصة؟ الفتيات يمثل سنك لديهم علاقات عاطفية، لا بد ان لديك واحدة او اثنتين...»

قالت بعدم اقتراث متعمد: «كانت لي لحظاتي على ما اظن، كان هناك شاب في القاهرة والذي كنت اعتقد اني واقعة في هواه، لكنني كنت على خطأ.»

«اظنك على حق، ابغدي عن علاقات الحب فهي لا تعطي المرء اي سعادة بل تغمره بالألم، انت فتاة عاقلة يا لوسي، فهذا الكثير من الاشياء الهامة في هذا العالم غير العلاقات الانسانية، والفتاة العادية تصع الكثير من الالهمية على العلاقات الرومانسية.»

قاطعت لوسي: «والرجال يضعون القليل من الالهمية عليها»
حدق بها قائلا: «أه، من هو الساذج الآن؟»

«هذا نقاش سخيف لا يتوافق مع روعة المكان حولنا، انظر الى ذاك الطائر الابيض على الصخرة هناك، اجنحته تلمع تحت اشعة الشمس، لكم هو فخور بنفسه وبوحدته ولكن يبدو سعيدا.»

تبع ادريان نظرتها وشاهد العصفور.

ونجحت في تغيير محور الحديث.

راقبا معا الطائر يرتفع عاليا ثم يهوى الى البحر بسرعة قال ادريان: «انه مجنول. سعيد بحريته، لا يمكن لأي شخص ان يكون حرا كالطائر، الانسان يعيش في سجن دائم.»

احتجت قائلة: «يا لهذه من فكرة كئيبة متشائمة.»

هز ادريان كتفيه مجابلا: «ليست صحيحة؟ يبدأ سجنه اثناء طفولته، حتى الطب الممرضات من سجنات لا يجب عليه ان يفعل هذا او ذاك، ويظل هكذا الى ان يصل الى الجامعة، النظام الصارم والمزيد من التقييد لحرية المرء، رجل الاعمال مقيد الى مكتبه، الرئيس مسؤول عن موظفيه، حتى الموظف نفسه مقيد بشئ الاشكال من قبل الحكومة، متى بإمكان الانسان فرد جناحيه والانطلاق نحو المجهول مثل ذاك الطائر الجميل؟»

سكنت نحوه وقد استدت رأسها على ذراعها وابتمت برؤيته وجهها القريب جدا منه هكذا للمرة الاولى، ذهل ادريان من روعة وجمال عينيها اللوزيتين.

قالت: «الحرية الجسدية ليست كل شيء، بإمكان المرء الاستمتاع بحرية الفكر بعض اعظم واجمل الملاحم في العالم كتبت فيما اصحابها في السجن، ملاحم موسيقية وادبية.»

لكن لا يشعر المرء بالحرية الفكرية هذه دوما، واكثر ما يقيد الانسان الى البؤس والشقاء شكوكه الخاصة ومخاوفه إضافة الى ظلم الآخرين له.»

بتعت قليلا عنه فجأة وقالت:

الجو كثير الحرارة لعناشة البحث الروحي هذا، كم ارجو بكوب عصير بارد.»

«اخذني للنوم، وسأحضر لكينا عصيرا باردا.»

هزت رأسها موافقة واعضت عينيها لا كي تشام بل لتفكر بما عليها فعلة حيال مشاعرها تحرق، اخيرا فتحت عينيها وتظرت الى ادريان. كان مستغرقا في النوم ونفسه منتظم وثابت، فضحكت بصمت.

بعد فترة، تمكنت بدورها من الاستغراق في النوم. استيقظ ادريان قبلها، اثنى برأسه على كفه وطفق ينظر اليها. لا شيء قبيح من لوسي غريشام المتحفظة الباردة، جلس وظل يحدق بها وكأنه لم يرها من قبل ابدأ الفتاة العملية والواقعة التي كانت مرافقة والدته لم تكن تعني له شيئا كأنثى من قبل. لكنه يرى لوسي الآن كأنثى جميلة، جذابة ورائعة، فاجأه اهتمامه الجديد بها، فجأة تناول محفظته من جيبيه وفتش عن قطعة ورق بيضاء ثم عن قلم، تراجع يهدوء خطوتين وبدأ برسم مخطط وجه لوسي كان قد انتهى من

رسم خطوط الوجه العريضة حين تحركت وفتحت عينيها. اخفى الدفتر الصغير سريعا وقرر انه فكر بما يكفي بلوسي. نهض ومد يده يساعدها على النهوض قائلا: «اقمضت عينيك بما فيه الكفاية. هيا بنا، سنعود الى المهرجان انا اشعر بالعطش وبالجوع.»

فورا امسكت يده ونهضت. عاد وجهها ليعكس سعادتها ثانية، واخذت عيناها تبقان وهي كاملة الاستعداد لرحلة العودة. كان يوم المهرجان الاول على وشك الانتهاء. سارت لوسي وادريان الى موقع السيارة.

كان اديريان رائعا، فكرت لوسي، وهي تجلس يتروى في مقعدها. لكن الساعة كانت النائمة والنصف لا يزال امامهما طريق العودة الطويل الى فيللا فينشيا. ادركت انه بقي هنا كل هذا الوقت لإرضائها، كي تتمكن من رؤية المهرجان. نظر اديريان اليها فيما هو يقود السيارة وسأل: «هل انت متعبة؟»

«قليلًا.»

«يجب ان تكوني منهكة الآن، ظلت واقفة على قدميك طيلة النهار.»

«لكن الأمر كان يستحق ذلك، فقد قضيت يوما بالغ الروعة.»

رد بضحكة جافة: «حتى انا اكاد اصدق انني استمتعت بهذا اليوم بدوري.»

«أمل حقا ان تكون قد استمتعت يا اديريان.»

«انا نوع ممل وبمضج كمرافق الى المهرجان.»

«هذا غير صحيح، انت تكون «متع الرفقة» ومسل حين تنصرف على سجيكتك.»

ضحك وقال:

«حسناً، حسناً، وهل تصرقت انا على سجيكتي معك أتنه عريشاً؟»

«كنت ضحكتها وقالت: «آه، اديريان، حقاً.»

«ربك ان تستمتعي بوقتك.» تكلم بأعذب وارق نبرة سيق رسمعها منه، ثم غرق في الصمت.

سحاة اوقف السيارة بعنف قائلاً: «اضن الإطار قد ثقب. شعري لحظة كي القي نظرة.»

ضمت الدقائق التالية وهي تراقب اديريان يبذل الاطار ستوب، لم يتحدثا كثيرا الى ان ظهر خيال القلعة... وهذه علامة الوصول الى كيرينيا.

قال اديريان: «حسناً، ها قد عدنا الساعة العاشرة. ذاك إطار آخر موعد وصولنا. الأرجح ان والدي نائمة الآن. من تركت اي تعليمات للوكاس؟»

«اعرف بوقت عودتنا لذا طلبت منه وضع بعض سندويشات والعصير على الطاولة وبعض القهوة أيضاً.»

مير بهولهما الغيللا صعد اديريان للأطمننان على والدته. في الفور مضاء في غرفتها فأدرك انها لا تزال مستيقظة. رعت لوسي الى المطبخ لقمسخين القهوة. الأرجح ان اديريان سيجتسي القهوة ويناول سندويشا قدساها كانتا ترسانها قليلا لكن جسدها كان ينضج بالصحة والسعادة فصانها النهار بأكمله برقة اديريان. فجأة سمعت صوت سيارة تسير على القلة، توقفت السيارة خارج ابواب الغيللا، تدجأت لوسي وسارعت لفتح الباب والخروج الى الحديقة عرفة من قد يزورهم بمثل هذا الوقت المتأخر.

تحت ضوء القمر رأت اربعة رجال يتقدمون نحوها. عرفت احد منهم فقط نيكولاس البستون. كان يحمل عصا بيده

اليسرى واليد اليمنى كانت في الجيبين. راقبت اقترابهم من الفيللا وانتبهوا هم لها فتوقفوا.

قال نيكولاس:

«مساء الخير لوسي. مضى وقت طويل منذ رأيته آخر مرة.»

«ليس طويلاً.» وسألته:

«ما الذي تريده يا نيكولاس يمثل هذا الوقت المتأخر؟»

«تسرفي دوماً رؤيتك يا لوسي.» قال بصوت مريب.

«لكن لدينا بعض المسائل العالقة مع مدير عملك. سمعنا أنكما كنتما في لارنكا. لذا انتظرنا عودتكما بفارغ الصبر.» غاص قلب لوسي للحظات. وعرفت هوية الرجال الثلاثة الآخرين الآن. فقد شاهدتهم في الفندق مع نيكولاس فيما مضى، رغم أنها لا تعرف اسمائهم، كل منهم كان يحمل عصا بيده.

قالت لوسي بنفس مقطوع:

«لم أتيتكم؟ لم تريدون رؤية السيد أوليفنت؟»

«لديه حساب ليصفيه معي.» رد نيكولاس:

«كنت على وشك تصفيته قبل اسابيع لكنني تعرضت لحادث، كنت سألقن السيد أوليفنت درساً يمنعه من ملاحظة شقيقتي الصغرى أو أي فتاة أخرى في الجزيرة ثانية. لكن احتاج رسغي لوقت أطول كي يشفى، لكن بإمكانني استخدام يدي اليسرى ومعني ثلاثة اصدقاء بإمكانهم استخدام يديهم الاثنين.»

تجمد الدم في عروق لوسي. اتضح كل شيء اسمها الآن. راجع نيكولاس أثناء مرضه كل الكاذب شقيقته وقرر الانتقام من اديان واشباعه ضرباً، قلغها الآن لم يكن

مركزاً على اديان. بل على السيدة والدته الجالسة في المطابق العلوي. رمت لوسي بنظرة رعب خلف كتفها وقالت: «لا يمكنك فعل هذا يا نيكولاس، لا يمكنك فالسيدة أوليفنت شديدة التوعك.»

صمت للحظة ثم مر رأسه قاتلاً: «سمعت أنها تحسنت، والمسألة بيننا وبين أيتها ولا علاقة لنا بها.»

«لكن أيتها الاحمق. ألا تترك أنها تجهل تماماً سوء التفاهم هذا حول أفروديت. وأنها إذا سمعت عن ذلك، أو سمعت صوت الشجار هنا وعرفت ما يحدث فإن ذلك كفيل بقتلها؟ تريد أن تكون مسؤولاً عن قتلها يا نيكولاس؟ الجميع في كيرينيا يحب السيدة أوليفنت.»

نحدث نيكولاس مع الشباب الباقين ثم التفت إليها قاتلاً: لا رغبة لدينا بإيذاء السيدة أوليفنت، لديك إذن مني بالذهاب واستدعاء اديان الى هنا. ستصطحبه الى مكان بعيد حيث لن تتمكن من سماع شيء.»

وقع الكلمات كان كوقع الصاعقة على لوسي التي تخيلت ما قد يفعله ضرب هؤلاء الرجال المبرح لأديان، اديان سيدافع عن نفسه، لكن كم سيكون هجومهم عليه عنيفاً، أربعة ضد واحد، الجبناء! النتيجة ستكون كارثية بحق السيدة أوليفنت إضافة لألام مبرحة لأديان ومزيد من الإذلال. لم تستطع لوسي ان تتحمل هكذا فكرة.

اقترب نيكولاس خطوة نحوها وقال:

إذهبي واخبريه أننا تريده، وإذا اتصلت بالشرطة فسنباشر عملنا فوراً.»

ظننتك صديقي يا نيكولاس.» قالت لوسي وهي ترتجف طالما دأعتك عنك يا نيكولاس.»

لأنت نظوته قليلاً وهو ينظر إليها وقال: «أنت تعرفين ما هو شعوري نحوك يا لوسي. لكن رغم ذلك علي الدفاع عن شقيقتي.»

«أيها الاحمق! أنت لا تعرف الحقيقة! أفروديت تكذب، بإمكانني إثبات ذلك.»

حذق بها قائلاً: «هيا اثبتي ذلك، اثبتيه.»

«بإمكانني الإثبات لك أنه لا يهتم مطلقاً لأمر شقيقتك... كيف؟»

«لأن أديان أوليفنت ذهب إلى الفندق تبعاً لرغبتني أنا... وتبعته بعد قليل، كما أخبرتك أفروديت، ذهب ليخبرها أنه سيتزوجني. أجل... أرادها أن تكون أول المعارفين بخطوبتنا، وأردت اخبارك واخبار الجميع لاحقاً أنه مغرم بي... لا بأختك، هو لم يحب شقيقتك يوماً أو حتى يرغب بها، هي من كذب منذ البداية، السيد أوليفنت سيتزوجني، ويمكنك اخبار الجميع في قبرص هذا، حينها لن يصدق أحد أنه يسعى خلف شقيقتك الصغرى.»

توقفت بشبه اخذناق وهي تشعر بالصدمة لكلماتها وتحريفها غير الصحيح لاتقاء الكارثة.

ظهر خيال عبر الممر، استدارت لوسي والرجال الأربعة نحوه. شاهدوا أديان أوليفنت، فقد سمع الأصوات ونزل إلى الحديقة ليستطلع ما يحدث.

هرب اللون من وجه لوسي ورفعت نظرها إليه متساءلة عما إذا كان قد سمع كلماتها بلحظة رعب عليه وعلى والدته.

الفصل الحادي عشر

«عن الواضح جداً أن أديان لم يسمع شيئاً، فهو صوته في المجموعة خاطب نيكولاس قائلاً:

«الذي فعله هنا ومن هم! صدقوا!»

ترعت لوسي بالجواب فوراً قبل نيكولاس قائلة: «جاء نيكولاس لرؤيتي أنا يا أديان وليس لرؤيتك أملاً... إن أصوات لم تزعج والدتك.»

حاجبها أديان: «لا، فهي لم تنم بعد أصلاً.»

تف نيكولاس وهو يطرق حذاءه بكعب عصاه، ووجه حجاب بدا شديد الشحوب والقساوة تحت ضوء القمر. مواء الحديقة كان يشعر بالحيرة والارتباك القام. كانت فكرة الانتقام لا تزال تسكن جوارحه، لكن ما أخبرته لوسي به أوضح خطأ كل نظرياته وأصابه بالصدمة والدهشة. إن أديان سينزوج لوسي فعلاً فمن غير المعقول أنه كان يسعى للايقاع بأفروديت. لم يدر نيكولاس بما يفكر، لكن يعرف أن لوسي محط ثقة وصدق.

سكت لوسي ذراع نيكولاس بطيش وقالت بإسواق عني أوضحت الأمر تماماً يا نيكولاس! هل تسامحني أن أدخلت! فالوقت متأخر.»

عن نيكولاس يحدق بها وقال: «يجب أن اعترف أن ما سمعته لي يا لوسي قد يخر كل ما وددت القيام به... أفروديت أساءت فيهم زيارة السيد أوليفنت لها، لا يسعني مساءلة.» قال وهو يدير رأسه ناحية أديان متابعاً: «لذا

لا يسعني مصارقتك أنت الآن بالتالي إلى اللقاء». اجتاحتها راحة هائلة وهي تراه ينسحب مع أصدقائه لقد انفذت الموقف، انفذت ادريان. لكن بأي ثمن؟ كيف ستمرح ما حدث لادريان؟

وكان قد بدأ بالاستفسار منها قائلاً: «حسنًا، لم كان كل هذا يا لوسي؟ ما الذي أراده نيكولاس؟ قلت أنه جاء لرؤيتك بأي شأن؟» ودخلا إلى الصالون معاً. «هيا أخبريني ما هي القصة؟ ما الذي كان يفعله هنا؟ أكان يحاول تهديدك؟»

«لا... هو فقط... أراد أن يعرف سبب ذهابك إلى الفندق ورويتك لأفروديت».

«وما حاجته لإحضار جيش حراسة معه. فقط لسؤالك عن أخيه وعني؟ وما الذي قلته أنت له؟ وما الذي قصده نيكولاس بقوله أنه لا يمكنه مصارقتك نظراً لأنه ليس صديقي؟»

«ظننت أنه سيصده كان واضحاً، أنت لم تحب يوماً فكرة مصارقتي لآل اليستون والآن نيكولاس يشعر بالامر ذاته... لانني... لانني جزء من سكان الفيلا، هل يزعجك ذلك؟»

«أنت محقة، أنا صعب الارضاء. وأشعر بالاستياء لانني أخبرتك نور مجيئك إلى هنا أنك جرة باختيار أصدقائك، لذا لا مانع لدي أن كان نيكولاس يروق لك أن...»

قاطعت لوسي قائلة: «لا تكن سخيفاً هو لا يروق لي، لكني أرى أنه من غير المعقول لي الاستمرار بصداقتهم وهما يكرهان مجرد ذكر اسم أوليفنت أمامهما، علي الخلود للغواش الآن. تصبح على خير».

استدارت لتغادر، لكن يده التي وضعها على كتفها اعانقتها الآن هل أنت غاضبة مني يا لوسي، هذا ليس من عادتك.

سارعت بالركض إلى غرفتها وقلبيها المضطرب يخفق جنون. عليها الاستيقاظ في الصباح الباكر قبل أي شخص آخر في المنزل والذهاب لرؤية نيكولاس! وما الذي ستقوله له حينها؟ كيف بإمكانها الطلب منه عدم نشر خبر خطوبتها لادريان فيم اعلائه هذا هو السبيل الوحيد. أخيراً سمعة شقيقته وسمعتها، ما الذي فعلته؟ ما المشكلة صديقة التي ورطت نفسها بها؟

دفعها النوم تلك الليلة. وانطلقت إلى فندق اليستون في صباح الباكر بأنفاس لاهثة.

عليها رؤية نيكولاس وتأكيده ما قالته له ليلة البارحة نزل نفسها إذا اضطرها الأمر وستجرح له بحبها الملتهب لادريان، وإن كل همها وجل أمنياتها أن يكون ادريان صبيها وزوجها ولذا فقد أخبرته هي نيكولاس بأمر سطوية، ستوصل إلى نيكولاس كي يحمي سرها وإن يحاول تفهم وضعها.

حدث الفندق غارقاً في الصمت والنوافذ مغلقة، كان زينت باكراً لم يستيقظ احد بعد. دقت على الباب، لم يجب احد. دقت بصوت أعلى ففتحت إحدى النوافذ في الأعلى وظل رأس أفروديت، شهقت بدهشة حين رأت لوسي في صدييقة، رنعت لوسي رأسها للفتاة وقالت: «أفرو، أرتعب رؤية نيكولاس على الفور».

انتظري سأذهب لإبلاغه». ستظرت لوسي، وظلت تدير الكلمات في رأسها بحثاً عن بصل ما عليها قوله لنيكولاس.

بعد لحظات اطلل رأس أفروديت ثانية من النافذة وقالت: «أخي ليس هنا».

«ليس هنا». رددت لوسي بخيبة أمل.
«لا، استدعاه بعض الاصدقاء ليلة البارحة وذهب برفقتهم
الى البلدة ويبدو انه نام هناك. فسريره لم يمس»
غاص قلب لوسي. هذه هي النهاية، لا شك ان ما تفوه به
نيكولاس قد انتشر في كل انحاء كيرينيا الآن، لقد وقعت
المصيبة وانتهت. لم تضيق المزيد من الوقت مع أفروديت
بل استدارت عائدة اذراجها.

حين وصلت الى فيللا فينيشيا كان الجميع قد استيقظ
فتحت نيتا لها الباب وهدمتها على الفور بكلماتها التي
زادت من بؤس لوسي وتوترها.
«آه، يا أنسة، اسعني لي بتقديم تهنئاتي لك».

شحب لون لوسي وشعرت بالانغماء وهمست بصوت
مخنوق: «ماذا تقصدين يا نيتا؟»

«ماركو، يائع الحبيب قد اخبرني للتو. سمع من بعض
الاصدقاء الذين كانوا مع نيكولاس ليلة البارحة انك
ستتزوجين بالسيد. هذه انباء سارة، أنسة لوسي والسيدة
الكبيرة بالغة السعادة. طلبت رؤيتك فور استيقاظك، كنت
ابحث عنك لاجلها».

جمدت لوسي في مكانها، هذا ما كانت تخشاه، الاسوأ قد
حصل. نشر نيكولاس الخبر وانتهى واخبرت نيتا السيدة
اوليفنت. ما الذي دعاها للكذب؟ ولم لم تطلع ادريان فعلا
على ما حدث؟ كان عليها تحذيره. ما كان على والدته
سماع الخبر من واحدة من الخدم. لن يسامحها ادريان
على هذا ابدا.

ركضت لوسي الى الطابق العلوي، لكن لم يتسع لها الوقت
للبحث عن ادريان. باب غرفة نوم السيدة اوليفنت كان

مفتوحا ونارتها فور رؤيتها. «لوسي... يا صغيرتي العزيزة،
تعال الى هنا فوراً».

بيحر من البؤس والارتباك والألم سارت لوسي الى سرير
السيدة. فتحت العجوز لها ذراعيها الاثنين

«تعال الى هنا يا حبيبتي. كيف تمكنت وادريان من اخفاء
هكذا خير عني؟»

«سيدة اوليفنت انا... آه، حقاً، انا...»

لا داع لتشعري بالذنب هكذا، هذا افضل خير سمعته منذ
سنوات. الامر المؤسف الوحيد ان كل كيرينيا سمعت به قبل ان
اسمع به انا نفسي. ادرك انك وادريان كنتمما تحسان وتطوران
صداقتكما، لكني لم اشك انكما مغرمان ببعضكما البعض،
اخبرتني نيتا ان المتوقع منكما اعلان خطوبتكما اليوم».

ثلث لوسي عن الحركة والكلام. شعرت فقط ان العواقب
الكارثية التي حاولت اليارحة تغاديها قد سقطت على
رأسها كالغاس القاتل.

ثم استدارت لتجد ادريان واقفاً في الممشى. ادركت من
تعابيريه انه سمع ما قالته والدته التي كان وجهه ابيض
وعيناه داكنتان من شدة الغضب والصدمة. كان يشير
اليها من مكانه من دون ان تراه والدته، مرتان استدعاهما
بيده ورأسه أمراً اليهما بمغادرة الغرفة، بذلت جهداً هائلاً
للتصالح نفسها.

«ارجوك اعتريني لغوان، لحظة واحدة فقط سيدة اوليفنت»
ثم غادرت الغرفة واغلقت الباب خلفها واتكأت مستندة
عليه وهي ترتجف وبالكاء تحافظ على توازنها.
امسكت اصابع ادريان برسغها بقوة.

«الى هنا... بسرعة».

دخلت وإياه الغرقة الصغيرة المسجورة.
وانفجرت العاصفة فوق رأس لوسي، قال اديان بصوت
كالرعد فيما لا يزال ممسكا برسغها:

«هذا بحاجة لبعض التفسير يا عزيزتي لوسي، هيا انطقي!
ما الذي يحدث؟ ما الذي تقصده امي؟ كيرينيا كلها تعرف
اننا ستزوج؟! قللي كل شيء..»

حاولت لوسي تحرير رسغها من قبضته وهتفت بشبه
بكاء: «ارجوك... انت تؤلمني..»

«مذمتي كنا خطيبين؟ من تجرأ وأبلغ والدتي هكذا
قصة؟»

فجأة زال الارتباك عن لوسي وزال معه اليأس والألم
سيطرت البرودة عليها وانركت انه بعد انتهاء كل شيء
الآن، عليها الاعتراف بالحقيقة.

«اترك يدي يا اديان ارجوك، وسأشرح كل شيء..»
اقلعتها وهو ينظر اليها بعينين داكنتين غاضبتين وقال
بصرامة: «هيا افعلني..»

وقف اديان امام نافذة ناظراً الى الحديقة، عرف كل
شيء الآن، عرف سبب مجيء نيكولاس وأولئك الرجال الى
هنا ليلة البارحة، عرف ان تلك العصي كانت لضربه من
وان لوسي انقذته من ذاك الاعتداء الوحشي الظالم، انقذته
بقصتها المشبعة عن قرب زواجهما، وقد انتشر الخبر في
كيرينيا كانه انتشار النار في الهشيم ووصلت الى مسامع
والدته. وهذا يؤثر استيائه قدر القصة نفسها، لانه يعرف
حساسية والدته ومدى تأثرها لمعرفة انها آخر من علم
ببكتها نساء من ابنتها، لم يكن لديه اي نية بالزواج لا من
لوسي ولا من اي امرأة اخرى.

عرفه ان لوسي فعلت هذا عن نية طيبة، لكنه ليس مستمناً
نساء، بل شعر بالإهانة لفكرة احتيائه خلف ثوب امرأة.

وتوقف لوسي عن شرح كل شيء، استدار وواجهها،
ضرت اليه بتعاسة لكن دونما خوف الآن
بالطبع علينا نكران الأمر، علينا التفكير بطريقة ايلغنا
والدتك ان في الأمر سوء تفاهم وخطأ..»

قال اديان بنفس مكتوم: «ايتها الحمقاء الصغيرة: اتظنين
الأمر سيكون بتلك السهولة؟»

تأهت وقالت: «لا، لا اظنه سيكون سهلاً، لكن علينا القيام
بذلك..»

تدركين مدى سعادتها لسماعها هكذا نساء! لما لما ارادتي
ان اتزوج، وهي تحبك حباً جماً، لا شيء سيسعدها في
هذه الدنيا اكثر من فكرة زواجي من فتاة لطيفة ويمكن
اعتماد عليها..»

سرة صوته دفعتها للاحتجاج: «آه، توقف عن نعتك لي
بالرقيقة والتي يمكن الاعتماد عليها، اتري الآن كم
يستحيل الاعتماد علي، وكم انني حمقاء وكم جعلت من
خسني اضحكة..»

وافقك ان تصرفك كان غيباً، وخطراً..»

نالت بحرق: «قمت بهذا كملاذ أخير، لم يكن امامي اي
خيار آخر، لم ادرهم ان يبرحوك ضرباً، لربما كانت
والدتك ستسمع اصواتهم، كان هذا ليتسبب بمقتلها، قلت
له اول ما مر بخاطري وما اعتقدته سيقنع نيكولاس
سخطاً ما يعتقده ويصدقه حول ملاحقتك لاخته..»
عندما نظر اديان الى عينيها المضيئتين وشفتيها
مرتعتين لانت قليلاً تعابيره وقال: «ادرك تماماً ان ما

فعلته كان لحماية والدتي، لطالما كنت مهتمة بسعادة والدتي وراحتها وأنا شاكر لك ذلك.»

«أرجوك لا تشكركي، فقد تسببت بفوضى عارمة لا مجال للتخلص منها.»

قالت ذلك بشبه نواح وقد اوشكت الدموع على الانهمار من عينيها. ضحك ضحكة قصيرة وقال:

«أنت بالطبع بدأت بفضيحة جديدة وجميلة عني.»

«اجل، خطوبتك لي ستكون فضيحة كبرى.»

«لا تكوني سخيفة. لم يكن تعبير الفضيحة هو التعبير الصحيح، كان الأمر ليكون بيان لو أن اسمي ارتبط باسم أي فتاة أخرى، واسمك بالطبع أفضل من كل الاسماء الأخرى.»

«شكراً. ردت لوسي بمرارة.

«والدتي بانتظار رؤيتنا. ما الذي سيفعله الآن؟»

«تذكر الأمر.» ردت لوسي بضعف.

«الذكرا ن لن يلخي حقيقة أن اسمينا قد ارتبطا معاً في ذهنها وانتهى الأمر، وأيضاً قلت لك كم هي سعيدة لسماع هكذا اقترار، وهذا ما يصعب كثيراً كل شيء.»

توقف للحظات ثم أضاف: «لكنني لن اختبئ خلف امرأة سأل هذه المسألة مع نيكولاس وكلما أسرعت بذلك كان أفضل.»

«قم بذلك وسيكون كل ما فعلته ليلة البادرة هباء إذا اعتقد نيكولاس أنني كذبت عليه ووقع الشجار بينكما

فسيصِل ذلك إلى مسامح والدتك.»

«تريين الفوضى التي أوقعتنى بها قصصك الآن.»

«آه أنت متوحش وناكر للجميل.»

قبل أن يحيدها سمعا صوت نيتا خارج الباب يقول:

«سودي. آنتي، السيدة الكبيرة تطلبكما.» حدق ادريان ولوسي ببعضهما البعض، كانت لوسي ترتعش، ثم ألك ادريان نفسه ووضع يده على كتفها قائلاً: «استعصي يا لوسي، أنا متوحش واعرف ذلك لكنني لست فاكراً للجميل، اعرف أن ما فعلته كان لأجلي، طبعي أننا عاجلاً أم أجلاً سنفكر الأمر اتركي لي هذه المسألة، علينا الذهاب إلى والدتي الآن، سنرى ما ستقوله، اتركي كل شيء لي وأطيعيني فيما سأفعل وأقول لو سمحت، سأعالج المسألة مع نيكولاس لاحقاً.»

«لكنك لن تدع والدتك تعتقد...»

«أخبرتك أنني سأنتظر لأرى مسار الأمور...»

مجدداً عاد الارتباك والهوس يسيطر عليها وهي تقف إلى جانبها أمام السيدة أوليفت، رمتها السيدة العجوز بإهتزاز مشقة وهفت: «يا ولدي العزيزان، علي بالغضب منكما لإخفائكما هكذا سر عني، لكنني واثقة أنكما اردتما إطلاعي على الخبر السعيد اليوم، آه، يا ادريان يا حبيبي، أنا بالغة السعادة، أنا اهتلك ولوسي من أعماق قلبي من الرائع تماماً معرفتي بأنك ستستقر أخيراً بالزواج، وأنا أحب لوسي واعرف أنها ستكون زوجة رائعة ومثالية لك.» «الآن أمي لا تستيقظ الأمور قليلاً» أنت لم تمنحينا فرصة لتأكيد ما سمعته، وتعرفين أن هذا المكان بؤرة للأقاويل والشائعات.»

شحب لون بلاش ورفعت نظرها إلى ابنها تسأل بخفية وحزن: «آه، ادريان حبيبي، هذا غير صحيح؟» ضحك قائلاً: «بصراحة يا أمي الحبيبة، أنا ولوسي لم نقرر شيئاً محدداً بعد، والا لكنك أول العارفين.»

ظلت يد ادريان ممسكة بأصابعها الباردة المرتعشة وقال بسرعة: «حسناً، لا تحزني هكذا يا امي، ايعني لك الامر كل هذا؟»

«بالطبع يا حبيبتي، لطالما كانت امنيتي الاعز والاغلى ان اراك متزوجاً وسعيداً في زواجك، ولوسي الصغيرة هي المفضلة لدي من كل نساء الارض.»

مدت يدها الى لوسي فسارعت لوسي باحتضان اليد بين كففيها وتقيلها بحب.

«آه، عزيزتي السيدة اوليفنت...»

بدأت لوسي الكلام لكن ادريان فاطمها مخافة مضائقه تقول: «حسناً، دعينا لا ننزل كل دفعاتنا مرة واحدة يا لوسي، كل شيء سيكون على ما يرام.»

رفعت والدته نظرها اليه بترقب قائلة: «هناك شيء صحيح لهذا شأنه بينكما اليس كذلك؟»

حبست لوسي انفاسها واجاب ادريان:

«ليس هناك نار من دون دخان يا امي الحبيبة.»

«اذن هل تعديني انه بحال سمح لي الطبيب بالفرزول الى الاسفل فإننا سنحتفل بشرب كخب كحة مستقبلية محتملة لي؟»

بدت هذه الكلمات غريبة على مسامعه وسرعية لأفكاره، فاكتمل بالقول:

«حسناً يا امي، سنرى بهذا الشأن.»

تنهدت الوالدة بارتياح وقالت: «اذن بحال سمعت المزيد من هذه الشائعات المحببة الى قلبي فسامح ان تكون صحيحة كلياً، تعالي يا لوسي واعطني قبلة.»

لكن لوسي لم تكن قادرة على تحمل المزيد، وغادرت الغرفة

فيما يدها تغطي فمها والدموع تنهمر بغزارة من عينيه. لم تر ادريان لبقية النهار وعرفت من الخدم انه ذهب بالسيارة الى ليماسول لمقابلة شريك عمل هناك، ظلت لوسي تتخاضى لقاء السيدة اوليفنت كي لا ترى الاخيرة عينيها الحمر لوين من جراء البكاء او كي لا تسمع استفسارها عما سمعته.

لكن عند الساعة الحادية عشرة كان على لوسي موافاة السيدة اوليفنت الى الحديقة حيث ستشربان الشاي معا كما هي العادة اليومية. لذا وضعت لوسي نظارتها السوداء القاتمة على وجهها ونزلت، لحظات فقط وبدأ الحديث المتوقع.

قالت السيدة اوليفنت: «أنا اعرف ابني، هو يحتاج لوقت طويل كي يتخذ قراره بأي شأن، لكن قلبي ينبؤني انه سيقدر، وليس بعيداً بشأنك يا لوسي.»

ابتمت لوسي واجبرت نفسها على اعطاء اجابة مناسبة فقالت: «لا اريده ان يقرر لي شيء ان لم يكن فيه سعاده الثامة.»

«حبيبتي لوسي، انت تعرفين انك وحدك من سيجعله بالغ السعادة.»

قالت: «لا شيء اكيد بعد...»

«لكنه سيكون كذلك قريباً. اشعر بذلك في اعماقي، وسمعت ما قاله ادريان بنفسه، لا دخان من دون نار.»

لم تعلق لوسي بشيء فتبايعت السيدة كلامها «انت تحدين ولدي يا لوسي، اليس كذلك؟»

رفعت لوسي رأسها للحظة، شعرت انها ممزقة وقالت: «اجل سيدتي العزيزة، أنا اجه.»

«هذا كل ما أريد بمعرفة، تعرفين أنه كان في الماضي خاطباً لفتاة أخرى... فتاة لا تفقه معنى الاخلاص والولاء».

ابتلعت لوسي ريقها وقالت: «اجل».

«لكن انت ... انت تموتين ولا تخونين».

بذلت لوسي جهداً كي تبدو مرحة وقالت: «قد يلتقي ادريان بشقراء فاتنة في ليماسول وينسى حتى وجودي هنا حين يعود...».

«لا داع مطلقاً للقلق من هذه الناحية يا عزيزتي».

وصلت نيتا لتعلن أن أحدهم يطلب الأنسة لوسي على الهاتف، ردت لوسي وكانت المتصلة صديقتها كارول.

«أه يا لوسي، لقد سمعت النبأ للثو».

خفق قلب لوسي وسألت بجهل متعمد: «أي نبأ؟».

ضحكت كارول وقالت: «إذا اردت الاستمرار في التكنم على ذلك فلك ما تريدين! لكني مسرورة جداً لأجلك عزيزتي وكل هذا نتيجة يوم واحد في المهرجان».

ظلت لوسي صامتة فتابعته كارول: «نرسل لك جميعاً تهنئاتنا القلبية».

لم تستطع لوسي إلا أن تسأل:

«هذا يتضمن فاليري أيضاً».

«بالطبع، هي بقربي الآن وترغب بمكالمتك».

بدأت لوسي ترتعش وقالت بسرعة: «أه، أرجوك أطلبني منها أن تعذري، فأنا مشغولة جداً الآن ولا أستطيع التحدث مطولاً».

«ما الذي دهاك يا لوسي؟ لن نلتقي مجدداً أبداً».

«يلي سنفعل، لكن علي الذهاب الآن».

«هاي، انتظري لحظة، منى موعد الزفاف؟»
لكن لوسي كانت قد أغلقت الخط والدم يكاد يتفجر من وجهها. الأنور تغلت من يديها الآن.

عرة أو مرتان قررت لوسي خلال النهار الذي لن ينتهي هذا، أخبار ادريان بنيتها في الرحيل، وبوجود بحقه عن مرافقة أخرى غيرها، فذاك كغيب بإنهاء قصة زواجها المجنونة تلك.

وقدبل وهول ابنها من ليماسول استدعت السيدة اوليفنت لوسي التي غرقتها وناولتها صندوقاً صغيراً.

«طلبت عشاء مميّز لنا الليلة يا لوسي، اليس كذلك؟».

«اجل سيّدة اوليفنت».

«أفحكي صندوقك يا عزيزتي، هذه هدية صغيرة لك شيء لطالما احتفظت به بحب. اعطاني اياه والد ادريان في عيد زواجنا الاول».

رفعت لوسي الغطاء، وعادت العاطفة المخدوقة لتفتت قلبها ثانية، وتساءلت عن المزيد الذي يمكنها تحمله من هذا صدمت عنها آهة اعجاب صارخ لرؤيتها محتويات الصندوق، كأن بداخله قلباً رائعاً من الذهب الأبيض المرصع بالعديد من الجواهر الصغيرة الملونة التي تخطف الابصار ببريقها.

كفت اضعه على ثوب اسود مخملي. ولطالما احب والدي ادريان ذلك، الآن ستردينه انت الليلة كي تسعديني وطبعاً كي تسعدي ادريان أيضاً فهذا القلب من أكثر التلاذذات المفضلة لديه».

سيّدة اوليفنت... لكن لا يمكنني اخذه... ليس بعد».

كن السيّدة اوليفنت لم تكن لترضى بالرفض.

كل ما سيحدث خلال العشاء سيكون مثيلاً كاذباً وتظاهراً غير صحيح، وأدركت أن أدريان سينزعج أكثر منها، سمعته يعود ويدخل غرفة والدته... ثم سمعت صوت مياه الاستحمام وأدركت أنه هو أيضاً يستعد لهذا الاحتفال الصعب.

اهتمت لوسي عمداً بمكياج وجهها هذه الليلة، سرحت شعرها جيداً، ونظرت إلى نفسها في المرأة، هي حقاً تبدو جميلة ومميزة الليلة، خاضعة بعد أن وضعت القلاوة على صدرها، البريق كان رائعاً، لكن كان هناك خطب ما في القفل لذا أمسكت القلاوة بيدها ونزلت إلى الأسفل.

كانت السيدة أوليفنت تجلس على كرسيها الخاص وتحدث إلى ابنها.

بوصول لوسي إلى الغرفة رفع نظره إليها وبدأ منذهلاً مما رأى، فقد بدت غريبة كلياً له، هذه الفتاة الذائبة اثرت بثوبها الزهري وشعرها المنسدل على كتفها.

رسمه بنظرة مرعبة سريعة وقالت:

«مساء الخير... أمل أن رحلتك كانت موفقة»

«جداً، شكراً لك»

«لكم تبدين رائعة يا لوسي» هتفت السيدة أوليفنت بإعجاب: «لما لم ترتدي هديتي؟»

«القفل... لا يعمل... كأنه بحاجة لتصليح»

«حسناً، يجب عليها أن تضعه، اليس كذلك يا أدريان؟»

سألت الأم موجهة حديثها إلى ولدها: «تعال يا حبيبتي نظرك أفضل من نظري. لا شك أنك تستطيع إصلاح هذا القفل لأجل لوسي».

تناول أدريان من لوسي قطعة المجوهرات، اعترتها رجفة لمجرد ملامسة أصابعه لأصابعها

«اهدأي» همس لها وهو بعيد انشأت قليلة عتياً: «لا داع لإثارة استياء والدتي الآن، فقلبيها يزغرد لهذا، إضافة إلى أنك أنت من بدأ هذه اللعبة يا لوسي، فعليك بالتالي الاستمرار بها»

قالت بآلم: «لكنك لا تريد ذلك»

«لا نهتفي لما أريده، وعلى القول أنك تبدين شديدة الانوثة، هل من مزيد من الإشراف لبقية الليلة»

لم تعلق على كلامه فجسدها كله كان يرتعش وهو يضع القلاوة حول رقبتها ويحاول إغلاق القفل.

«هاك» وأدارها لمواجهة.

قالت السيدة أوليفنت: «الآن تقبلها يا أدريان؟ أذكر أن والذك قبلني حين وضعه حول عنقي للمرة الأولى، يا لك من ولد غير رومانسي»

وجدت لوسي أدريان ينفطر إليها بطريقة غريبة تماماً، كان هناك عاطفة ما داخل عينيه، رغبة الرجل الحارة المفاجئة تجاه المرأة.

لا شعوريا همست: «أه، لا»

كن أدريان ضحك يشقاوة وقال:

يجب أن أتصرف كما تصرف أبي من قبلي: لتحية هذه بفتاة الجميلة التي تقول كل كيرينيا انني سأتزوجها»

نفس مخنوق قالت لوسي: «أكرهك...»

كنه الآن كان قد تخطى مرحلة اهتمامه سواء أكانت تحبه وتكرهه

سك بذراعي لوسي وقبليها.

هعس قروب اذنهيا: «أسف ان كنت قد ازعجتك، لم يبد اناك تمانعين...»

همست بدورها: «آه، اصمت... لا نعرف كم اكرهك...»
مجددا ضحك لكن حاجبيه ارتفعا للأعلى، ونظر اليها بانتقاده، هو لا يريد ان تكرهه لوسي، ماذا يريد اذن؟ سأل نفسه هذا السؤال بنجهم.

وصل لوكاس العجوز الآن ليدعوهم الى العشاء، حمل ادريان والدته الي كرسيها على رأس الطاولة.

كان العشاء رائعا، وبالنسبة للسيدة اوليفنت كان هذا حلما يتحقق، لم تدر شيئا مما كان يجول بخاطر ادريان او عن العاصفة التي تنفجر في قلب لوسي.

وكلما تلاقى نظرات لوسي بنظرات ادريان كانت تجدها تهكمية وبالتالي كان توترها يزداد.

وفرحت بانتهاء هذا العشاء الطويل، ثم قيما كان ادريان يشعل سيجارة وهم يحتسون القهوة، طلبت منها السيدة اوليفنت ان تعزف على البيانو.

«اجله هذا صحيح.» وافقها ابنها وسار لفتح غطاء البيانو

انحنى ادريان قريبا وقد غمره الشعور بتعذيب الضمير وبدأت هي يائسة تماما: «لوسي»

رمته بنظرة متقعدة وسألت: «ماذا؟»

«هل انت شديدة الغضب مني هكذا لانني قبلتك؟ هل أمنتك بذلك؟»

«نعم.»
«لم ادراك لا تطيقيني لهذه الدرجة.»
«ارجوك لتنسي ما حدث.»

الفصل الثاني عشر

باغتت تلك القبلة النارية لوسي وحطمت كل دفاعاتها. فهي مغرمة به، لم تشعر بنفسها الا وهي تتجاوب معه، واستسلمت لعناقه بعاطفة جياشة توازي عاطفته.

ادريان كان مذهولا، اذن هناك نار كامنة تحت غطاء الأنسة لوسي غريشام الباردة المحافظ. كان هذا اكتشافا اذهله وأثار فضوله

«هذا رائع! هل لي ان اقول انك ادبت دورك ببراعة تامة.» شعرت بنفسها تموت امامه خجلا وهي ترى نظراته المستتعة الساحرة، تمتد او انها لم تتجاوب معه.

لكن السيدة اوليفنت، غير العالمة اطلاقا بالتغيرات الخفية بينهما قالت بحب وسعادة:

«ذاك كان جميلا جدا.» ضحك ادريان ونظر الى لوسي، لكم تبدو شاحبة! ما خطبك هذه الفتاة؟ لعلها لم تأخذ تلك القبلة بخفة وبساطة كما تخيل.

شعر بالانزعاج لكل هذا التمثيل لأجل والدته، ومنزعج من نفسه لدوره بهذا، أمسك يدها ثم قال: «هيا... لنحافظ على حسننا الفكاهي، لا داع لأخذ الأمور محمل من الجد.»

لا داع لأخذ الأمور على محمل من الجد، من وجهة نظره هو لا يهتم لها اطلاقا. القبلة التي كانت بالغة الأهمية لها لم تكن شيئا له، لا تعرف الآن أي احساس كان يعتريها بهذه اللحظات

«اذن انت حقا تكرهيني ولا تطيقين قربي؟»
«لا اري فائدة ترجي من مناقشة حقيقة مشاعرنا نحو بعضنا البعض، كل ما يحدث هو خطأ مرعب»
«لكنك انت...»

«اجل، انا من بدأ كل هذا» قاطعته ونظرت اليه بغضب ثم نظرت الى السيدة اوليفنت النائمة على كرسياها بعيدا ولا تتمكن من سماعهما.

«نعم انا من بدأ هذا» كررت لوسي: «لكنه بدأ الحل الامثل في حينه لكنني اجده الآن حلا كارثيا».

«لا شك لدي انك تتمنين الآن لو انك تركتني لمصيري وللعراك مع الثلاثة رجال ونصف، اميتير نيكولاس نصف رجل لأن ذراعه اليمنى لازالت في الجبس».

قالت له بعصبية: «هل عليك الوقوف هنا وازعاجي؟ لم لا تبتعد؟»

شعر مجددا ولدهشته انه مخطيء بحقها وعليه ان يعتذر، يريد استعادة لوسي القديمة مجددا...

«اسف لاستيائك هذا لوسي، ان كنت انا المسؤول عن ذلك فسامحيني، فوالدي وانا ندين لك بالكثير».

«آه، ارجوك ابتعد عني وتوقف عن محادثتي».

سار مبتعدا نحو والدته، نظر الى وجهها الضعيف الكهل، والى تعبير الرضى الخام علي محياها.

وشعر بغصة في قلبه، يا لامي المسكينة لقد استمعت حقا بهذه الامة بما تعنيه لها، هي حقا تريد ان يتزوج لوسي غريشام. هي تحب لوسي...

وبدأت فكرة جديدة تجول في خاطره. لنفترض انه تزوج فعلا لوسي غريشام فهي لم تكن فقط جيدة وقادرة

على العناية بوالدته وبه، بل كانت جذابة جدا ايضا. نهضت عن البياض الآن واغلاقته وصل لوكاس للمساعدة في نقل السيدة الكبيرة الى غرفتها. وانتهى عناء الليلة المربوة الطويلة بالنفسية للوسي، قبلتها السيدة اوليفنت برقة وحب وتمنت لها ليلة سعيدة.

ارادت الهروب من اي مواجهات إضافية مع ادريان هذه الليلة لكن قبل ذهابه لمرافقة والدته الى غرفتها التفت اليها وقال: «هذه ليلة جميلة... قد نسير معا الى المرفأ قبل الخلود للنوم».

بظروف عادية لا شيء كان احب الى قلبها من التنزه معه تحت ضوء القمر في هذه الليلة الصيفية الرائعة، لكن الآن بدأ الامر مرعبا، فقد تأملت كفاية لهذه الليلة والا فضل لها الهروب.

عاد ادريان الى الصالون مجددا فبادرته قائلة ببرود: «لا داع لمزيد من التمثيل والتظاهر بيننا، ان لم تصانع فساخذ للنوم».

شعر بخيبة امل، وغمره شعور جديد من الاحباط. وادرك انه بات معنادا على تنفيذ لوسي لرغباته.

«آه، هيا، لوسي... لم علينا التناجر؟ بدلي ثوبك هذا وتعالى للتنزه معي. اشعر بالتشنج جراء البقاء داخل المنزل الليلة واعتقد انك كذلك ايضا».

«ربما، لكنني متعبة متعبة جدا ولا اقوى على السير».

«لا اصدق ذلك، انت تعانديني فقط ما الذي ذهالك يا لوسي؟ اعتذرت منك لاجل تلك القيلة...».

قاطعته بحدة قائلة: «آه، لا ارجو بسماع المزيد عن هذه القصة، اؤكد لك انها لم تعني شيئا لي».

ضحك وقال: «هيا يا لوسي... لنكن أصدقاء كما السابق! ليست الأمور بالسوء الذي تبدو عليه. اعترف أننا تورطنا قليلا، لكن بإمكاننا التخلص من ذلك تدريجيا، أنا لم أرغب بتخريب أمل والدتي على الفور، لكن لربما كنت مخطئا وكان علي إخبارها بالحقيقة.»

«أجل كان عليك إخبارها بالحقيقة.»

غريزة فضولية دفعت له ليضيف: «هل تجدين فكرة زواجك مني كريهة وغير معقولة يا لوسي؟»

هزها السؤال المباشر فقالت: «هذا مستحيل، لا يمكنني التفكير بأمر أكثر سخافة وغرابة من هذا.»

«زواج أدريان أوليفنت بلوسي غريشام؟» سأل أدريان ذلك باستغراب.

«أجل،» ردت بصوت خافت.

«لكنني قد أرتب بالاستقرار والزواج. ليس نغص لإرضاء أمي بل لأجلي أنا أيضا.»

رسمت بنظرة غاضبة وقالت: «أذن عليك حينها إيجاد زوجة مناسبة.»

«أوتجدين نفسك غير مناسبة؟»

«تماما.»

صمت للحظة ثم غص شفته السفلى وضحك.

«في هذه الحالة علينا إذن نحض الشائعات التي تحتاج الجزيرة؟»

«تماما.» ردت ثانية.

«سأذهب في نزهتي وحدي إذن، تصبحين على خير يا لوسي ولا داع لتكوني هكذا وكأن هذه نهاية العالم! انوي العودة إلى القاهرة يوم الاثنين، فقد بقيت هنا مدة كافية.

وقبل عودتي ثانية ستكونين قد حضرت والدتي بعناية وذلكاء حول أوهامها الخاطئة بشأن زواجنا المرتقب. تصبحين على خير.»

استدار وغادر الغرفة. أرادت أن تتأديه، لتخبره أنها ترغب بمغادرة فيللا فينشيا والجزيرة...

لكنه كان قد غادر، واندفعت الدموع الآن من عينيها. دموع غزيرة كتبت جماعها منذ بداية هذه الليلة.

قررت كارول ديكستر أنه حان الوقت للذهاب لرؤية لوسي فصادقتهما أصبحت شبه مهملة منذ وصول آل فاندرا لايت، وهذا كان يزعم كارول.

هذا الصباح وبعد تناول الفطور انطلقت كارول إلى فيللا فينشيا لتبثقة صديقتها الحبيبة على خطوبتها. أول من صادفت كارول كان أدريان ذاته وقد تألق تصامعا فاعتقدته ذاهبا إلى لقاء عمل صباحي.

سارت كارول مباشرة إليه ومدت يدها بالتحية وبابتسامتها المشرفة المعتادة:

«أود اطلاعا على مدى سعادتي العارمة لاجلك ولأجل لوسي، اتمنى أنا وزوجي لكما السعادة.»

أدريان الذي بدا محبطا وتعبسا لم يبادلها الابتسامة. ورد بإقتضاب: «شكرا، أتيت لرؤية لوسي دون شك، سأعلمها عوصولك.»

اسمع. بدأت كارول لكنه كان قد ابتعد. زمت شفتيها وهزت رأسها قائلة: «حتى الوقوع في الحب أو الخطوبة أو مهما كان اسم العلاقة لم يطف ويقلل من حفاظة أدريان هذا.»

ثم ظهرت لوسي في الحديقة. صدمت لوسي لرؤيتها، فقد

بدت شاحبة، حزينة وبعيدة كل البعد عن الغشاوة المرحية الناضجة بحب الحياة.

قالت بصوت مبحوح: «آه، أهلاً كارول».

تجمد الترحيب المرح الذي أعدته كارول لصديقتها وظلت تحديق للحظات بلوسي بارتباك وحيرة «أذن يا صديقتي الحبيبة، ما الذي دهاك؟ ما الذي يجري؟ تمنيت لحبيبك السعادة المستقبيلة فشكرني بمرارة وكأنني أتمنى له الموت السريع، ما الخطب؟ أملت أن يكون هذا هو الأمر المهم والسعيد في حياتك لقد أتيت والنوايا الطيبة تغمركني نحوكما معا».

تنهدت بعمق وابتعدت عينيها عن نظرات كارول الفاحصة ناظرة الى النافورة الجميلة التي تزين الحديقة، لكن كل شيء في هذا الصباح الجميل كأن يشعر بلوسي بالحزن، فقد قضت الليل بأكملها الباردة في البكاء، وهذا الصباح فاجأها ادريان بقوله بمرور انه لم يعد يحتمل البقاء هنا اكثر لذا فقد ابلغ والدته بضرورة سفره الى القاهرة على الفور.

الآن لم يكن لديها ادنى فكرة عما عليها قوله لكارول لكن عليها قول شيء ما، سارت برفقة صديقتها عبر الحديقة دون ادراك وجهة السير، كانت سعيدة لرؤية كارول وقررت اعطاء بعض التوضيحات فقالت:

«لازال الوقت مبكراً بعض الشيء للامنيات بالسعادة، فخطوبتنا مجرد شائعة».

«اتقصدين ان هذا غير صحيح؟»

«حسناً... ليس... تماماً».

«أذن كيف بدأ كل هذا يا عزيزتي؟»

ابتلعت بلوسي ريقها بصعوبة، كان من غير المعقول التحدث عن الامر بمصادقية وتجرد.

«آه... لا اقول ان لا سبب لهذه الشائعة، لكن ذلك لا يعني بالضرورة، انني وادريان سنقزوج في النهاية».

«تقصدين انكما في طور تنمية العلاقة كي تصبح خطوبة؟»

«اذا احببت ان تصني الامر كذلك، اجل».

«لقد صدمتني يا بلوسي، هذا غير منطقي، اما انك وادريان مغرمان ببعضكما واما لا».

«آه، استطيع القول انه من الصعب عليك فهم ما يحدث، يصعب على المرء شرح مشاعره الخاصة حتى لاصدقائه المقربين».

هزت كارول رأسها وقالت ضاحكة: «كنت أمل ان تجدي بعض السعادة يا عزيزتي، لكن بالخطر اليكما هذا الصباح استطيع القول ان لا مستقبل لكما معا».

فكرت بلوسي بمرارة كم ان كارول محقة

بعد لحظات توقفت بلوسي والتفتت الى صديقتها قائلة: «لا تعتقدينني غير صادقة معك او خبيثة يا كارول، لكن المسألة كلها لا تزال في بدايتها وغامضة بعض الشيء، لربما سأشرح لك يوماً ما، لكنني لا اريد المزيد من الثثرة في الجزيرة، وان سألك احدهم... فتقولي ان شيئاً لم يتحدد بعد بيني وبين ادريان».

طأطأت رأسها موافقة وقالت بمرح:

«حسناً، لك ما شئت يا عزيزتي، بصراحة لقد انزعجت فاليري كثيراً حين سمعت بنأ خطوبتكما».

عاد اللون ليظهر على وجه بلوسي الآن وعاد الوميض الى

عينيهما، فمن بين كل اناس الارض وحدها فاليري هي من لا ترغب لوسي بدخض الشائعة لها.

قالت لوسي: «حسناً، يمكنك اخبارها ان ادريان غير مهتم اطلاقاً بها بعد الآن.»

ضحكت كارول وقالت: «احب الاستماع اليك وانت تتكلمين هكذا، انت لا تحبين فاليري، اليس كذلك؟»

«اظنّها عاملت ادريان بخبث وخداع حين كان بحاجة الى دعمها ومناصرتها.»

«تبددين واثقة تماماً ان ادريان مظلوم بكل ما قيل وبكل ما قالته فاليري عنه.»

«انا واثقة تماماً ان كل ما قيل كان اكاريب.»

«كيف؟» سألت كارول بغضول.

«الامر فقط ان ادريان ليس من ذلك النوع، كان مجنوناً بحب فاليري حينها وما كان ليريض لإغواء فتاة يافعة

وجاهلة كأثروديت لمجرد ان فاليري بعيدة عنه.»

«لكن نيكولاس رأهما معاً...»

«لا فائدة من الغوص في التفاصيل. لا اعرف الكثير لأجادل بشأنه لكنني لا أبه لما رآه نيكولاس او لما اعتقد

انه رآه، كل ما اعرفه ان أثروديت مجنونة وانها كاذبة ومخادعة، واطن القصة بوميتها لم يكن لها اي اساس من

الصحة وقد صدقها الجميع لأن فاليري بالذات تخلت عن ادريان، كان ذلك تصرفاً رهيباً من قبلها.»

وضعت كارول ذراعها حول كتف لوسي وقالت بصوت خفوف: «انت مغرمة يذاك الشاب اليس كذلك؟»

كان قلبها يخفق بقوة وتعاسة وفضلت الإجابة بتهكم نادراً ما تلجأ اليه.

اه، لا اعرف اذا ما كنت اؤمن فعلاً بالحب او باستمراريته. لأن كارول اعذريني من فضلك، علي القيام بالكثير من

الامور وادريان ذهب الى فيفوسيا، فقد تم ارسال برفقية له من مكتبه الرئيسي.»

تيمت كارول ان لوسي تطلب منها بأدب ولياقة الانصراف والوقوف عن طرح المزيد من الاسئلة، فقبلت لوسي مودة

وغادرت كارول لم تكن من النوع الجاقد او الحسود وكانت تحب لوسي لكن المسألة كانت لغزاً بالنسبة لها وسارت

الى الخندق وهي مقتنعة ان الامر ليس على ما يرام بين لوسي وادريان، وان لا من زواج ممكن في الافق بينهما.

أول من قابلها بالطبع كانت فاليري التي تتليف لمعرفة كل شيء عن زيارتها، لكن كارول لم تحب الا بما طلبته

لوسي منها ويجارة «لا شيء محدد بعد.» ايشمت بثقة دائمة.

لا اظن شيئاً سيتحدد بينهما من الاصل، يا عزيزتي. اظن مسألة مجرد اختلاق من الأنسة لوسي الصغيرة، فأنا لا

تخيل ان ادريان قد يقع بغرامها.

غضبت كارول ونسيت ان هذه زوجة الرئيس وقالت:

حسناً، انت مخطئة بهذا، اعرف تماماً لما قد يقع ادريان و اي رجل آخر يحب لوسي، فهي رائعة ونساولينا نحن

ثنتان معاً.

هل رأيت ادريان؟

جل.

وماذا قال؟

وما همك انت؟

قالت: «يهمني ان اعرف فقط كيف تفعل تهنذك له.»

ردت كارول قائلة: «قال شكراً».

«آه، حسناً، لربما سأذهب إلى الغيللا بنفسى لقيتنيتهما».

«لو كانت مكانك لتركتهما وشأنهما، فليس من العدل القيام بأي تصرف آخر».

«أعرف طيبة نواياك بإسنادني مثل هذه النصيحة، لكنني لا احتاج إليها».

وانتهت المحادثة عند هذا الحد ثاركة شرخاً في صداقة كارول وفاليري.

كان جو الغيللا بدوره متوتراً وتنفست لوسي الصعداء برحيل أدريان إلى القاهرة. وداعهما كان جافاً وبإضافة مجبرة من الطرفين.

«اشكرك مجدداً على كل ما حاولت القيام به لاجلي تلك الليلة» قال أدريان ذلك بأدب قبل دخوله السيارة.

واجابت هي: «ما قمت به كان مهلكاً، أنا من يعتذر منك فعلاً».

«على العكس، لقد انقذتني من مواجهة عصيبة وصعبة وكانت ستنتهي بانتصار نيكولاس ورفاقه وتحقيق ما كانوا يصبون إليه. لا تقلقي عزيزتي لوسي، هذه المسألة ستحل نفسها بنفسها. لا اظنني سأعود إلى كيرينيا إلا بعد بضعة أسابيع. يمكنك اختيار الدقي تدريجياً أنك بدلت رأيك بشأنى والعكس صحيح. يمكنك القول أن كلانا تسرع قليلاً».

«وهذا صحيح بالفعل».

«لا تدعي هذا الأمر يؤثر إحباطك أو استيائك ولا تخمّر ببالك أية أفكار سخيفة حول ترك العمل لدي. فكما تعرفين والدتي بحاجة ماسة إليك، وسأحاول تحاشي المجيء ورويتك كي لا اضايقك».

تم رحل لها الحياة بكاملها فارغة وقاحلة، لكن على الأقل بعض ثوتر اليوم الأخير قد تلاشى الآن. والآن كل ما عليها القيام به هو الاهتمام بالسيدة أوليفنت وإسعادها قدر المستطاع.

لكن الأيام التالية كانت صعبة عليها حقاً، فقد ارمقت نفسها في العمل ولم تكن تأخذ الا فترات راحة قصيرة تقضيها بالقتزذ أو السباحة. كانت تتحاشى لقاء آل بيكستر نظراً لوجود آل فائز لايت برفقتهم، حتى الاصدقاء في البلدة صارت تتحاشاهم لأن الجميع كان يهينها على الخطوبة ويسألها عنها، حتى رفقتها السيدة أوليفنت صارت مؤلمة نظراً لأنها لازالت تعتقد بوقوع لوسي وابنها في الغرام.

وبدأت تتساءل عن كيفية البدء بتخيب أمل السيدة الكبيرة، يسهل عليها القول أن لا نية لدى أدريان بالارتباط الدائم. كن كيف كانت ستظن في عيني السيدة أوليفنت وإخبارها بها لا تحب أدريان».

كل يوم كان عليها دفع ثمن الموقع الخاطيء الذي وضعت نفسها فيه، عليها تفسير سبب عدم إرسال أدريان لها أي رسائل.

عقدته سيرسل لك ولو ورقة صغيرة كل يوم» قالت الأم وفي تفتح يريدها المرسل اليها من أدريان: «كان والده كاتب رسائل رائع ولازلت احتفظ ببعض رسائله لي قبل بعد الزواج».

وكان على لوسي أن تضحك وتجيب: «جيلناً لا يتمتع بحس الرومانسي السابق».

كنك لست من نوع الفتيات العصرييات يا لوسي،

وهذا من أكثر ما أحبه إليك، أنا واثقة أنك تراسلني». لم ترد لوسي على ذلك لكن فكرت كم هي تحب فعلاً الجلوس ووضع كل ما بداخلها في كلمات، لكم كانت رسالتها إلى ادريان ستكون رائعة.

كانت تخشى زيارته المقبلة، لم تعرف ماذا كانت ستقول له، كيف ستخبره أن الوضع هنا لم يتبدل عما تركه عليه لو كان الأمر يتعلق بها وحدها لسارعت بإخبار السيدة الكبيرة ولغادرت فيللا فيينيشيا على الفور دون الحاجة لرؤية ادريان مجدداً أبداً، لكن كلما كانت تسمع على الأيحاء للسيدة أن لا زواج قريب كانت بلائش أوليفنت تقول أن هذا الزواج المرتقب هو أغلى وأحلى ماتمناه في هذه الدنيا. وهذا كان يجبر لوسي على التراجع عن موقفها. بدأت تشعر بالصداق وزاد نحول جسدها، كان المرض يبدو على هيئتها ويتغلغل داخل روحها وهذه لم تكن عادتها، وصممت على إخبار ادريان فور عودته بضرورة مغادرتها للفيللا ولقبرص.

مرت أيام الصيف الحارة ببطء شديد، وازداد شعور لوسي بالوحدة والمرض وكانت تتحاشى إظهار ذلك للسيدة الكبيرة، لكن تينا لاحظت وأخبرت لوسي كم هي تبدو نحيلة وشاحبة.

لم تعد تزور سانت هيلاريون أو بيلابيس، لم تعد تذهب إلى فندق أليستون، ولم تر نيكولاس منذ تلك الليلة في الحديقة لكنها سمعت من الخدم أن نيكولاس ذهب وشقيقته إلى تينا وأن الفندق مغلق في الوقت الحالي.

ولم يعد ادريان إلى الجزيرة إلا مع بداية شهر أغسطس، وكالعادة أرسل برقية إلى والدته يخبرها بها عن

وصوله متأخر يوم السبت قائداً بالطائرة من القاهرة. يبدو أنه جال على كافة فروع شركته، لذا طال غيابيه عرضت السيدة بلائش على لوسي البرقية واقترحت فوراً إقامة احتفالاً صغيراً لعودة ادريان إلى المنزل.

«من المؤسف أن العمل ابتاه بعيداً عنك كل هذه الفترة، لكن الليلة سنحتفل بكما ويسعدكما اللذانكما ثانية».

وقفت لوسي صامتة فقد اعتادت على مثل هذه التعليقات، لكن هذه الليلة وتبعاً لوصول ادريان شعرت بالقشعريرة تنجأها، لن تتمكن من مواجهته.

للمرة الأولى لاحظت السيدة بلائش نحول لوسي وقالت بقلق: «الم تخسري الكثير من وزنك يا لوسي؟» «أه... ربما».

أظن ذلك، لا أعرف لم لاحظ ذلك من قبل، سيغضب ادريان مني لعدم اعتنائي بك، أنا معجوز إنسانية أخذ كل وقتك واهتمامك، ما الذي سيقوله لرؤيته عروسه الجميلة نحيلة جداً هكذا».

شاحت لوسي بنظرها بعيداً والدموع تكاد تنهمر من عينيها.

أه، أنا بخير، هو لن يلاحظ الاختلاف بي إطلاقاً».

كانت تفكر... لا يسعني احتمال احتفال آخر كالذي مضى، لا يسعني احتمال مراقبة السيدة أوليفنت لنا، متوقعة منا تعبير عن سعادتنا باللقاء، يجب أن يطلعها ادريان على حقيقة، يجب أن يفعل، ويجب عليها تحذيره من عدم تركزها على الاستمرار بهذا.

كانت هذه ليلة رائعة، وكان الضلام بدأ ينتشر بوصول ادريان وترجله من السيارة، كان ادريان يشعر بالحر

والثعب، لكن عودته الى الفيللا كانت تشعره بالقلق تماماً كلوسي، ولطالما تساءل عما سيحدثه بعودته.

كما وتساءل عما سيكون عليه مزاج لوسي، وكأنه غادر الجزيرة قبل سنوات لا قبل أسابيع، ولم يعرف شيئاً بخصوص لوسي الا ما كانت تذكره عنها له والدته في رسائلها ومبديها لها اظہار كم هي تحبها ومتعلقة بها. لكن مقطعا واحدا في رسالتها صدمه وشغل باله طيلة رحلة العودة.

أؤكد لك شيئاً واحداً يا بني الحبيب، هي تحبك بعمق وجدية. هذه المرة لن تكون كالمرّة السابقة، فالحب والافلاص هما وجهان لعملة واحدة مع لوسي، وقد سألتها بنفسها: «هل تحبين ولدي؟ فقطرت مباشرة الى عيني وردت: اجل، احبه لذا فأنا اعرف ان ما قالته صادقا».

تلك الكلمات ومعناها هدمت أدريان وأثارت دهشته، بدا وكأنه من غير المعقول للوسي ان تفرم به، كيف تمكنت من النظر في عيني والدته والاعتراف لها بحبها له؟ هي تكرهه، هي تخافه، هو كان يعرف ذلك تماماً

واعترف لنفسه انه يشعر بالحيرة. وسيسأل لوسي عن تلك الكذبة غير الضرورية. تمنى لو يتمكن من محادثتها قبل مقابلته لوالدته، وفور وصوله رأى لوكاس في الحديقة فناداه على الفور

«قل للأنسة غريشام اتني وصلت وانني ارجب برؤيتها»

الفصل الثالث عشر

تلقت لوسي ذلك الطلب بذعر وخوف، اذن فقد عاد أدريان وعليها مواجبته.

خرجت الى الحديقة وانتفض قلبها لرؤيته، رماها بنظرة فاحصة سريعة، مع ان عقله كان يضحج بالاقتار الا انه لاحظ ان لوسي تبدلت كثيراً عما كانت عليه قبل سفره، فوجهها الصغير بدا اشد نحولاً واكثر ارهاقاً، عادت لترفع شعرها بتلك الطريقة القديمة الصارمة ولم تكن قد وضعت اي ماكياج على وجهها وكأنها لا ترغب بأن تكون مشرقة كأخر ليلة له قضاها بالاحتفال معها ومع والدته.

شعر انها مريضة جداً وسألها قبل اي شيء آخر وباهتمام: «هل عانيت من مرض او حصى ما؟»

ارتعشت لوسي لنبرة الاهتمام في صوته لكنها اجابت: «لم اكن على ما يرام مؤخراً في الواقع... لا اظن ان صيف تهرص يلائمني، واشك كثيراً بتمكني من البقاء هنا لاكثر من هذا اردت اعلامك بهذا بعد العشاء».

رفع حاجبيه وحذق بيها بعدم تصديق، بالكار كانت هذه الفتاة ذاتها التي كانت في المهرجان.

قال: «رغبت بمحادثتك على انفراد قبل لقائي بأمي، لهذا طلبت من لوكاس استعانةك».

تعرفت السيدة اوليفنت بوصولك».

لا بأس، لا شك ان والدتي ستعتقد انك هرعت الي الترحيب بي يدفعك شوقك اللاهث لرؤيتي».

اندفع اللون الى وجهها والتمعت عينها وقالت: «أخشى انها ستكون مخطئة باعقادها اي من هذه الاشياء».

«يا فتاتي العزيزة، لا حاجة لك لإخباري انك أصبحت فجأة كترهيني تماما، فذاك لن يفاجئني، لكن هناك لغز او اثنين اريد بطبقهما قبل دخولنا الى والدتي، اولا تقولين ان كيرينيا أصبحت فجأة لا تلائم صحتك، هل الأنسة غريشام تقدم استقالتها؟»

«اجل هذا ما فعله الأنسة غريشام بالضبط».

قال بحق: «اذن انت تتخلين عن عملك؟»

«حاولت القيام بعملتي على أكمل وجه طيلة فترة مكوثي هنا، لكن علي الذهاب بسبب تدهور صحتي، ولا يمكنك اتهامني بالتخلي عن العمل حينها».

«لو كان السبب صحيا فعلا لما عارضت، لكني اعلم انه ليس كذلك، بل هو نتيجة هذا الوضع السخيف بيننا».

«حسنا، فسره كما يحلو لك، فوجدي الملامة لبدء كل هذا، لم ارتكب بحياتي خطأ اكبر من هذا».

«لوسي، لقد ناقشنا كل المسألة واعتقدت اننا توصلنا الى تفاهم ما، ثم هذه العدائية المفاجئة اذن؟»

غمرها الاحساس بالحزن، لكنها كانت مصعمة على البقاء ثابتة فقالت: «لا اريد بأن اكون عدائية، لكن المسألة كلها صارت اكبر من قدرتي على الاحتمال».

«اذن هل لي ان اسأل لم اخبرت والدتي بكذبة صريحة ومخطيرة كذلك؟»

انتفض قلبها وسألت: «ماذا تقصد؟»

«اخبرتني في رسالتها الاخيرة انها سألتك ان كنت مفرمة بي وانك اجبتها بالايجاب. هي الآن مقتنعة بصدق ما

قلته لها، هل استمتعت بمشاهدة سعادة العجوز بدفعك إيانا اكثر داخل المستنقع الذي صنعت؟»

نظرت اليه بذهول، ولم تستطع الاجابة.

«كان هذا تصرفا غير لائقا ولا لطيفا منك، حتى ولو كان قصدك من ذلك اسعادها طبعاً كانت تلك هي الفرصة المناسبة لك كي تظهر لي لها بعض الرغص او على الأقل القول اننا لسنا واتقين من مشاعرنا تجاه بعضنا البعض».

للصورة الاولى في حياتها خانتها الكلمات فعبارة هو ليقول «حقاً، يا لوسي، يبدو انك لم تغعلي شيئا مطلقاً بشأن تحضير والدتي لإمكانية تبدل مشاعرنا نحو بعضنا».

قالت: «لما تضع كل العمل الصعب على كاهلي؟ ما الذي فعلته انت بهذا الشأن؟ كنت ترسلها هل ألححت في اي من رسائلك اننا لن نتزوج؟»

ادرك انه أثناء غيابه لم يجروء على التلميح لانه يخطأ ما تعتقده كي لا يغضب عليها سعادتها وفرحتها العارمة بقرب حصولها على كنة ولحفاد.

تكلمت لوسي ثانية قائلة: «عليك اخبارها بذلك بنفسك يا اوريان، انا لا استطيع، لا فكرة لديك عم كان الوضع عليه».

كانت بالغة السعادة ولم تترقب عن التحدث عنا معا بلهفة وفرح، وستكون مخطئة ان اعتقدت ان دوري كان سهلاً».

«انا واثق انه لم يكن كذلك، لكن آخر ما اريدك ان تفعل عليه هو ان تتركها. فمحتها معقلة كما تعلمين. إذا ذهبت الآن فقد تتعرض لقوبة قلبية. هي تحبك كثيراً يا لوسي».

وتعرفين جيداً مدى امتناني للسعادة التي ادخلتها الى قلبيها منذ وصولك الى هذا المنزل، اعطيتها شيئا لم يكن بإمكان

اي امرأة كجرتروود ليندل اعطائها إياه لا يمكن لوالدتي

تعويضك، اقترح الانغادري الا بعد التفكير مليا بالامر»
 تفهت وقالت: «أه، لا اعرف ما علي القيام به»
 «ستجد طريقة ما» امسك بذراعها وسار معها الى الداخل.
 وقبل دخولهما الباب الرئيسي عاد ادريان ليتكلم معها
 بذات العبارة المتوسلة تلك التي يصعب عليها صدها
 «لا تقومي بأي خطورة الآن يا لوسي، بعد خلود والدتي
 للنوم سنتكلم مجددا ونرى ما يمكننا عمله، الاهم حاليا
 هو عدم إثارة حزنها او استيائها»

مجددا كان على لوسي قضاء امسية سرهقة اخرى بالتظاهر
 امام السيدة اوليفنت، لكن ما اثار دهشتها ان ادريان كان
 بعيدا كل البعد عن السخريفة الليلة بل على العكس كان
 بالغ الرقة واللفظ، واخذ قلبها ينتفض كلما رماها بنظرة
 عميقة او مهتمة، وشعرت للحظات ان هذا ليس ثقيلًا من
 قبله بل حقيقة وازداد التوتر وتجمدت اوصالها مخافة ان
 تخونها نظرة ما وتخبره عن حقيقة شعورها نحوه
 لكن السيدة اوليفنت كانت راضية تماما، فقد عاد ابنها،
 واقاموا معا احتفالًا بسيطًا بعودته وقد تقبلت عذر لوسي
 بوجع الرأس المسبب لصمتها معظم الوقت.

«المسكينة لوسي الحبيبة تشعر بتوعل جراء الحرارة
 المرتفعة، لا اظنها قادرة على العزف لنا هذه الليلة»
 «يوسفني جدا سماع هذا يا امي»

تمنت لوسي لو يستعيدا صداقتها القديمة ومرحبتها
 اثناء المهرجان، لكم كانت مجحفة بتلك الكذبة التي
 اخبرتها النيكولاس والتي ادت بهما الى هذا الوضع
 شعرت بالارتياح لصعود السيدة بلانش للنوم.
 «فعلا معا لتقبلي قبل خلودكما للنوم» قالت السيدة

العجوز ذلك بمرح وسعادة «فأنا ابقى ساهرة حتى ساعة
 متأخرة وانا اقرا قصة المدينتين»

رد ادريان «أه، لم اقرأها ثانية منذ فترة طويلة. قد افعل
 انشاء وجودي هنا»

«وهل ستبقى لفترة طويلة؟» سألته والدته بلهفة.
 «سفرى» رد من دون ان يتنظر الى لوسي، وبعد ذهاب
 والدته قال ادريان للوسى «رفضت مرافقتي في آخر مرة
 طلبت اليك الذهاب معي في نزهة، فهلا ذهبت الآن؟ لدينا
 الكثير لمناقشته واجد من الافضل قول كل ما لدينا تحت
 السماء والتجوز، لنذهب الى البحر»
 «حسنا، لنذهب»

«لا حاجة للمعطف، فبالكاد هناك هواء في الخارج»
 استدارت نحو الباب وسار ادريان خلفها صافقا الباب وواء.
 بعد حوالي نصف ساعة مرّت عبر بوابة فيللا فينشيا
 فضاء رشيقة طويلة القامة بفستان مسائي زهري وجاكيت
 سوداء صغيرة فوقه. تلتصقت نحو الصالون، فلم تجد
 احدا، فدخلت وهي تنظر حولها بفصول. نفس الصالون...
 شيئا لم يتغير فيه.

وقفت للحظة تستمع للاصوات لكن شيئا لم يصل الى
 اذنيها، ماذا حدث؟ اين الجميع؟ اين ستجد ادريان؟ بوب
 هو من اخبرها برؤيته في المطار هذا المساء.

وصممت فاليري فاندرا لايت على مقابلة ادريان هذه الليلة
 بالذات، تحت غطاء تهنئته بالخطوبة ولمعرفة ما في داخل
 قلبه حقًا. بعد ان خسرت ادريان ارادة الايقاع به اكثر من
 اي رجل آخر، كانت مصممة على سلبه من لوسي غريشام
 التي تبغضها بشدة.

لم تتوقع اللحظة واحدة ترحيباً حاراً بها لا من ادريان ولا من لوسي ولا من الوالدة العجوز الغريضة. لكن هذا لا يهمها، ادريان وحده من تكثر لأمهه. كانت ستطلب محادثته على انفراد لامر شاري.

تجولت في الصالون لبرهة ولم تر احداً فكل الخدم كانوا في المطبخ البعيد يتناولون طعام العشاء.

«لربما ادريان مع السيدة والدته في الطابق العلوي». فكرت فاليري لم يخطر ببالها مطلقاً انها سلكت الطريق الى الفيللا فيما نزل ادريان ولوسي من طريق البحر بعيداً عن الفيللا كانت مقتنعة تماماً ان شيئاً لا يستعصى عليها فور تصميمها على نيله، وادريان كان جل ما تريده الآن، اخذت تصعد الدرج قائلة بصوت مرح:

«ادريان، لوسي، مرحباً، هل من احد في المنزل؟» اجابها صوت ضعيف عرفت انه صوت الوالدة: «نعم، من الذي ينادي؟»

رأت فاليري الباب المفتوح فتدخلت منه وتابعت بذات النبرة المرحية: «مرحباً».

وجدت نفسها داخل غرفة نوم السيدة اوليفنت والتي تذكر تفاصيلها جيداً

استقامت بلانش اوليفنت في سريرها رمت بعميقيها بحيرة خلف النظارات السمكية التي تستخدمها للقراءة، متسائلة عن هوية الفتاة المخيلة.

«تفضلني بالدخول، من انت؟... هل انت صديقة للوسي؟» ثم توقفت السيدة الكبيرة عن الابتسام فقد دخلت فاليري الآن دائرة الضوء وانتفض قلب السيدة بلانش الضعيف لرؤية هذا الوجه وسماع ذاك الصوت.

«هذا انت يا فاليري؟»

ضحكت فاليري واقتربت اكثر من السرير متابعه. «اجل، اظن رؤيتك لي هي صدمة لك اليس كذلك سيدة اوليفنت؟»

كانت أكثر من صدمة، فقد حققت السيدة بها كأنها تنظر الى سبح وقالت: «من اين انت؟ لم انت هنا؟»

«الم يخبرك ادريان انني جاليا هنا في كيرينيا؟» «لا، ايعلم هو بذلك؟»

«بالتأكيد». ردت فاليري بضحكة اخرى: «التقينا عدة مرات وتشاركنا السباحة معاً في حوض النادي صباح احد الايام قبل ثلاثة اسابيع فقط».

تشبثت السيدة اوليفنت جيداً بالسرير فقد كانت ترتعش بشدة وبالكاد كانت قادرة على البقاء جالسة. «ادريان سبح... معك؟»

«اجل، ولم لا؟ نحن صديقان قديمان، على الاقل لسنا مضطربين لنكون اعداء لمجرد اننا فسحنا خطوبتنا، انا متزوجة الآن الم تسمعي؟ اسمي فاليري فاندرايت الآن، زوجي وانا في قبرص بداعي العمل سنغادر الاسبوع المقبل لكني وددت رؤية ادريان قبل رحيلنا».

حاول عقل السيدة اوليفنت فهم ما كانت فاليري تقول، فاليري متزوجة من امريكي، هنا معنا، في كيرينيا... وادريان يعلم بذلك، وقد سبح معها يوماً؟ لا يمكنها استيعاب ما يقال لها لكن كل كرهها وامتعاضها من هذه الفتاة عاد ليملغى على اي فكرة اخرى الآن، فبلانش لم تحب فاليري منذ اللحظة الاولى التي رأتها بها. ولاحقاً حين فسخت فاليري خطوبتها من ادريان لسبب

غامض تجهله الوالدة، كرمت بلانش هذه الفتاة أكثر وأكثر. فاليري التي بدأت تشعر بالضجر سألت «ادريان ليس هذا؟» «لا، فقد خرج للتو هو وخطيبته.» كانت هذه هي المرة الأولى التي تستخدم فيها السيدة اوليفنت تعبير «خطيبته» وقد لفظته الآن بكل حبها وتعلقها بلوسي. «آه، إذن فخير خطوبة ادريان صحيحاً؟» ردت السيدة اوليفنت ببرود: «حسب علمي.» «الآن تمليقي سقي الجلوس والتحدث؟» شعرت بلانش بقشعريرة برد وبعض الألم جهة قلبها لكنها جاهدت كي تحافظ على هدوئها وقالت: «يا فتاتي العزيزة، لا اظن ان لدينا ما نقوله لبعضنا البعض. أنت متزوجة الآن من رجل آخر وأتضمن لك السعادة. لكنني لا أربح مطلقاً بأي حديث معك، فقد كنت السبب في الماضي بتعاسة ولدي و...» «آه، الآن انصتي جيداً سيدة اوليفنت.» قاطعتها فاليري بضيق صدر: «لا أرى لم لا يضمنني تعاطفك او يضمنني وحدي. وإذا كنا سنغوص مجدداً في الماضي، فلم يراك فسدت خطوبتي من ابك؟» «حقاً...» بدأت بلانش بالاحتجاج لكن صوتها كان يرتعش. تابعت فاليري التحدث بصوت ممتنع: «هذه ليست المرة الأولى التي يتم التلميح بها الى انني الشخص البقيض الذي تخلي عن ادريان. بدأ هذا الامر يزعجني لا تفسخ الفتاة خطوبتها دونما سبب كما تعلمين.» «لست مهتمة بسماع السبب.»

«بل انصتي.» قالت فاليري بصوت قاس: «أنت والآخرون وضعتكم اليوم علي، لكن ان الاوان لك لتعرفي اني فسدت الخطوبة لأن ادريان خذلني وخانني.» شهقت السيدة اوليفنت وقالت: «كيف تجرون على قول هكذا شيء؟ غادري المكان على الفور.» «لا تقولي انك لا تعرفين كل كبريتيا تعرف هذا.» فقدت فاليري اعصابها الآن ولم تكن على علم بحالة السيدة اوليفنت الصحية فتأبعت: «والدي ذكسها بصحتي بفسخ خطوبتي منه لأن ادريان تصرف بطريقة مشينة، بلوغائه تلك الفلاحة الصغيرة وجرها الى مرسمه.» نزعزت بلانش نظارتها وحذقت بالفتاة بعينيتين داكنتين وقالت بصوت خافت وكأنه من العالم الآخر: «هذا... غير صحيح... غير صحيح...» «بل صحيح.» اصرت فاليري: «الجميع يعلم ذلك، كان يعيث مع شقيقة نيكولاس الصغرى، وجدهما معا نيكولاس في احدى الليالي داخل الاستديو. كيف بإمكانك لومى على فسح الخطوبة؟ ما كنت لاخبرك لو انك لم تلق بكل اليوم علي! لكن ما اهمية ذلك كله الآن! انما تزوجت رجلاً آخر وادريان كما تقولين سيتزوج لوسي غريشام و...» توقفت الكلمات على شفاهاها وشهقت بقوة، فقد ارتعت والدته ادريان على الوساوسة، شفاهاها كانت زرقاء وانفاسها شهقات قصيرة متألعة. ادركت فاليري حينها انها تصادت كلياً، كانت مرغوبة مما نطقت به ومن اختيارها لكلماتها، استدارت وغادرت الغرفة وهي تصيح: «النجدة! النجدة!» سارعت نيتا بالخروج من غرفة الخدم صاعدة السلالم نحو

فاليري الشاحبة، المرتعشة والتي كانت تشير إلى غرفة السيدة أوليفنت قائلة: «اذمهي إلى سيدتك. صعدت لرويتها فوجدتها على هذه الحالة...»

اندفعت نيتا داخل الغرفة ثم سمعت فاليري صرختها التي جمدت عروقها.

«اذها ميتة... سودتي ميتة.»

ذلت فاليري فاندرا لايت متجمدة مكانها للحظات في تلك اللحظات غادرتها كل انانيتها تاركة مكانها شعوراً طاعياً يتأنيب الضمير سيقى يلاحقها حتى آخر أيام عمرها، فقد أدركت أنه لو كانت نيتا مصيبة فإنها هي المسؤولة عن موت بلانش أوليفنت.

فجأة اجتاحتها الخوف من فكرة وصول ادريان ومعرفة بما حصل، فحينها لا بد سيقتلها عليها الذهاب فوراً إلى يوب.. يوب الذي يحبها ويصدق كل كلمة تتفوه بها. صكت اسنانها وامتزت ركبتيها وشاهدت نيتا تغادر الغرفة.

«اخبري... سيدك أنني جئت لزيارته... لكنني وجدت والدته على تلك الحالة... تلك الحالة...»

بالكاد فهمت نيتا ما كانت فاليري تقول. كانت السيدة أوليفنت ميتة.. لو على وشك الموت... لكن عليها اخبار لوكاس لا استدعاء الطبيب والبحث الغوري عن السيد ادريان الذي غادر برفقة لوسي.

نزلات نيتا السلالم كالصاروخ منارية لوكاس فسارتت فاليري بدورها بمقادرة المكان.

كانت فاليري ذاتها هي من نقل خير المأساة التي حدثت في فيللا فينيتشيا إلى ادريان.

كان ادريان ولوسي في طريق عودتهما إلى المنزل بعد

حديث طويل غير مثمر، تنزهها يمثل هذه الليلة الجميلة مع ادريان كان ليكون رائعا لولا حزنها ويأسها من حبها الذي بلا أمل. لذا وخلال كل مناقشاتهم القتالية كانت تلجأ إلى البرود والتفوق على نفسها مما أكد لدى ادريان الإحساس بأنها فعلاً تكرهه.

وإن كانت بعض افكار تحويل هذه الخطوبة المزعومة إلى أخرى حقيقية قد داعبت خياله في وقت من الاوقات، الا انه الغى الفكرة هذه نهائياً بعد حديثه مع لوسي هذه الليلة. «اتخرج ان تخبري امي حين اسافر انك بدلت رأيك وأنا سأراسلها واكتب لها الأمر ذاته من ناحيتي.»

ردت لوسي ببرود: «حسناً. وبعد ذلك اخشى أنني سأكون مضطرة للعودة إلى انكلترا.»

«إلى أين؟»

«أه، لدي اصدقاء... والآن تحسنت حالة عيني وبوسعي دوماً الحصول على وظيفة في وزارة الخارجية لدي المؤهلات لذلك.»

«حسناً، ان كان لزاماً عليك الذهاب، فاذمهي. يبدو ان امي المسكينه هي من ستعاني من جراء كل هذا.» ثم اضاف بعزيم من المرارة: «حقاً، يا لوسي، ان كان هذا كل ما انت مستعدة لفعله لها، فلم صرحت بذلك الخطوبة المزعومة لنيكولاس وبذات كل هذه المبرطة؟»

«لا راع للعودة إلى ذلك مجدداً، سبق واجترأت بارتكاب تلك الغلطة، ماذا تريدني ان افعل بشأنها الآن. تحويل نفسي إلى زوجتك المستقبلية المحبة؟»

«بالكاد محبة.» رد ادريان بضحكة ساخرة: «لا يا عزيزتي، كانت تلك لتكون المصيبة الكبرى... اثنان يشعران نحو

بعضهما بالطريقة التي شعر بها ومرتبطان لا يدا، لا، لا هذا مستحيل».

هنا بالضبط انتهى النقاش بينهما

قابلتهما فاليري المندفعة بطريقها الى الفندق وهما في هذه الحالة النفسية، توقفوا فور رؤيتها. وصلت فاليري اليهما، للحظات ظلت واقفة بانفاس مثقطة وعينين جاحظتين فهي لم تكن واقفة مما عليها قوله. وماها ادريان بشبه ابتسامة ساخرة وقال:

«مرحباً والى اللقاء».

لكن لوسي لاحظت النظرة في عيني فاليري واندركت حصول خطب ما، وكان الغمزة مدعورة جداً من شيء ما، قررت فاليري التصرف بسرعة فانتهجرت بالمكاء ومدت يدها لتتمسك بذراع ادريان وكأنها توشك على السقوط.

«أه، ادريان... حدث شيء مريع».

«ماذا؟ من اين اتيت؟»

«من فيللا فينيتشيا، اردت رؤيتك انت ولوسي لأتمنى لكما التوفيق شخصياً». توقفت فاليري قليلاً وهي تنتحب ودموع تأنيب الضمير والذنب تنحدر بحرارة على وجهها «نزلت نيتا عن السلالم كالمجنونة فور وصولي الى الفيلا... قالت... قالت ان والدتك شديدة المرض... شديدة المرض جداً».

شد ادريان على ذراع فاليري بقوة جعلتها تصرخ العا. «هل تعرضت لنوبة قلبية جديدة؟ ماذا قالت نيتا لك؟»

«تعتقد... قالت... أه، ركضت الى الغرفة لاساعدها... اذا كان ذلك ممكناً... اتصل لوكاس بالطبيب جونز... لكن... والدتك كانت فاقدة الوعي... اظن... اظن أنها ماتت».

غص قلب لوسي. تحدثت ورمت ادريان بنظرة رعب سريعة. افلت ذراع فاليري واستدار مهزولاً بسرعة جنونية الى الفيلا. ظلت فاليري تنتحب متسائلة عما اذا كانت الخادمة ستؤكد روايتها وقالت «الجس هذا مريعاً».

لكن لوسي لم تنتظر لتجيبها فقد هزعت خلف ادريان دون ان يراودها الشك لحظة واحدة يصدق قصة فاليري. كانت الساعة التالية مليئة بالفوضى العارمة وجدت ادريان في غرفة والدته ممداً قرب سريره وممسكاً اليد التحلة بين كفيه فيما نيتا تشق بدموعها ولوكاس يبكي بصمت قريباً. كان قد اتصل بالطبيب الذي يكار ان يصل بأية لحظة الآن. لكن حالياً بدا وكأن بلاش اوليفنت كانت قد فارقت الحياة. او انها غارقة في غيبوبة. استدار ونظر الى لوسي فور وصولها قاتلاً:

«دواؤها... اعطني الزجاجة... لوسي... لكى قلبها... اعديها الى عيها يا لوسي... افعل شيئا».

نظرت رغباته واخذت مكانه قرب السرير لكن اليأس سيطر عليها بإمكانية انعاش بلاش اوليفنت ...

الوجه الاصفر... الشقاء الزرقاء ... وضعت قطرات الدواء داخل فمها. دلكت منشفة القلب ثم اجرت لها التنفيس الاصطناعي. سمعت ادريان يطرح الاسئلة على نيتا. والآن انفجر صوته كالبركان الغاضب وهو يصرخ: «تقولين ان فاليري كانت داخل غرفة امي ... وانها كانت تنزل السلالم وتناديك؟ هل هذا صحيح؟ لكن كيف وصلت الى هناك هل جننت لا يدخلها الى هناك».

قاطعت نيتا صياحه قائلة: «لا، لا... لم ادخل فاليري الى هناك... دخلت هي وحدها بعد رحيلكما دون شك... انما لم ا

رهما كنت اتناول العشاء في الجناح قرب المطبخ... لم أرها
تدخل... لم أرها الا حينما كانت تصرخ طالبة النجدة».

رمت لوسي ادريان بنظرة فوجدته كالمجنون ووجهه
يتفجر غضبا وحزنا «هل سمعت يا لوسي سمعت هذا؟
لا بد ان فاليري صعدت الى هنا واضربت اسي شيناً...
شيئاً عني... الأرجح القصة القديمة المشؤومة ذاتها. هذا
ما قتلها اه، لوسي، لوسي، الا امل لها بالحياة؟ سأذهب
الى فندق الدوم الآن و...»

«اهذا؟ قاطعته لوسي» حافظ على عقلك يا ادريان انتظر
وصول الطبيب».

لكن ادريان لم يكن قادراً على الانتظار اندفع خارج المنزل
ووصل الى باب الحديقة حين وصلت سيارة الطبيب. ثم
دخل الرجلان معاً وسارع الطبيب العمل وطلب من الجميع
مغادرة الغرفة باستثناء لوسي.

كانت العشر دقائق التالية كابوساً للوسي. فقد مر في بالها
كل الاحتمالات السيئة فيم هي تساعد الطبيب. لكم سيكون
رهيباً لادريان ادراكه كل لحظة من لحظات حياته ان
امه الحبيبة ماتت بسبب ما سمعته عنه. لكن قلبه يلاش
وبمساعدة الطبيب عاد يخفق بشكل منتظم كانت هذه من
أسوأ الخربات القلبية التي تعرضت لها السيدة الكبيرة.
لكنها تغلبت عليها.

عند اول اشارة لانعاشها... لحظة من اللون على الوجه.
ركضت الى الممر كان ادريان يذرع الممشى ذهاباً وإياباً.
اسمك بكفئتها وهي تسير نحوه وهتف:

«هل ماتت؟ هل ماتت؟»

بكت لوسي وقالت «آه يا حبيبي ادريان! ستكون على

مايرام. هي لازالت على قيد الحياة، يقول الطبيب جونز
انها ستكون على مايرام...»

زلت كلمة حبيبي من بين شفتيها عقوباً وبدا ان ادريان لم
يسمعها اصلاً. فقد غمره شعور مماثل بالراحة اسسك بها
وشدها اليه وعانقها وكأنها طفلة.

ناداهما الطبيب قائلاً: «تعالا انتما الاثنان، السيدة اوليفنت
ترغب برويتكما...»

قال الطبيب وعينه لازالت على مريضته.

«ترغب بقول شيء لكما لا تجهدها بالكلام. ستكون بخير
الآن، لكن عليها ان تحظى بعناية فائقة وراحة تامة وكلية.
تشبثها بالحياة لأجلك أنت يا ادريان، الأفضل ان تستلم
الآنسة غريستام مسألة العناية بها اللينة اذا استطاعت...»

ردت لوسي «اجل، سأفعل بالأكيد».

جثى ادريان قرب سرير والدته وابستمت له بوهن ثم علت
وجهها نظرة قلقة وقالت:

«ادريان... ادريان... تلك الفتاة...»

«لا تقلقي بشأنها يا حبيبي... اخلدي للنوم والراحة...»

«لا اسطيع، حتى تخبرني...»

«اخبرك بماذا يا اسي الحبيبة؟»

«فاليري... فاليري اتت الى هنا...»

«اعرف».

قالت... قالت شيئاً رهيباً. عنك وعن أخت نيكولاس...»

اتربت لوسي حينها منهما. وجثت قرب ادريان. لم تنتظره
ليجيب بل قالت هي بهدوء:

لا تصدقي حرفاً واحداً مما قالته تلك الفتاة ايتهما العزيمة
لغالبية. لقد رددت فقط بعض الشائعات القذرة، الناس

معتادة على الشرثرة وتناقل الشائعات في مكان صغير كهذا، لا يوجد كلمة حقيقية واحدة في كل ما قالته لك. أنت تعرفين وأنا أعرف أن أدريان من أروع وأشرف الرجال في هذه الدنيا. كانت أفروديت مجرّد عارضة لديه لا شيء أكثر غير كونها فتاة غبية وقروية جاهلة».

تحولت نظرة السيدة أوليفنت إلى لوسي الآن وتطورت إليها بحسب مقتمة: «أنت تثقين به ... وأنا كذلك بدوري، سأنسى ما قالته فاليري تلك. كانت شريرة وناسية وأنا لم أحبها يوماً أصلاً».

خانت أدريان الكلمات في تلك اللحظة. لكن قلبه كان يحقق بشدة نحو لوسي بامتنان خالص. همست السيدة أوليفنت: «انقما. تحبان بعضكما البعض. ستزوجان، ليس كذلك؟ أرقب بهذا من كل أعماق قلبي».

ثم قام أدريان وبجهد هائل بوضع كل كبريائه وحبه لذاته جانبا، شعر أنه كما إن يخسر هذه المخلوقة الأحب إلى قلبه وإلى الأبد هذه الليلة، وأنه مستعد للتخيار بأي شيء في العالم لاستعادها. نظر إلى لوسي بتعبير متوسل في عينيه، لكنه وضع ذراعه حول كتفها وقربها إليه بلطف قائلاً: «إذا قبلت لوسي بي يا سي، فلا شيء أريده في هذه الدنيا أكثر من أن تكون هي زوجتي المستقبلية».

شبهت لوسي لا أراديا، لكنه قربها منه أكثر وهمس في أذنيها وكأنه يقبلها قائلاً: «لا تجادلني، لا ترفضني، لا تفعلني أي شيء الآن. اتوسل إليك».

شعرت لوسي أن لا رغبة لديها للنفاس. دفن عقلها المشوش حقيقتان فقط كانتا واضحتين. الأولى إعلان أدريان الصريح بالرغبة بها كزوجة مستقبلية، والثانية نجاة السيدة أوليفنت

سمعت السيدة أوليفنت تهمس قائلة: «يا حبيبي أدريان لقد أسعدتني حقاً».

تابع أدريان ما يفعله وقال للوسي: «قرر استعادتك لعافيتك كاملة ويصبح بوسعك حضور الاحتفال بتنظيم حفل الزفاف». احمرت وجهتها بشدة، نظرت إليه يدهول فلم تجد أي سخرية داخل عينيه الزرقاوين.

نظر إليها بجذبة وسأل: «هل تتزوجيني يا لوسي؟» لم يكن بمقدورها قول لا. عرفت أن بلاتش متعلقة بجوابها. وسمعت صوتها يقول: «اجل، بالطبع».

تنهدت السيدة بلاتش وغمضت عينيها، غص قلب لوسي لا اعتقادها بموت الوالدة لكن الطبيب جونز كان هناك وأصبعه على رصعها الضعيف. رمى لوسي وأدريان بنظرة سريعة وابتهامة قائلاً:

«أنها بخير... لقد استغرقت في النوم الآن، لا داع للقلق». نهض أدريان وأنهى لوسي بدورها، لم تكن ترى شيئاً من الدموع التي كانت تعميها، سمعت الرجلين يتناقشان. سيرسل الطبيب ممرضة غداً صباحاً. سيحرص هذه المرة على تأمين الرعاية الطبية الكاملة والهدوء التام لمريضته. سمعت أدريان يقول بذات الفورة الغاضبة السابقة: «لو حدث أي سوء لوالدتي أقسم أنني كنت لأذهب إلى فندق الدوم وأخضع تلك الفتاة بودي».

وجدت لوسي نفسها تغادر خارج غرفة النوم، عبر السلال، تم إلى غرفة الصالون حيث ارتقت على الكرسي الكبير. سمعت صوت سيارة الطبيب تغادر وصوت خطوات أدريان تعود أراجبها إلى حيث هي. صعدت نيتاً بعد ذلك إلى غرفة المريضة لتبقى فيها إلى أن تأخذ لوسي مكانها هناك لاحقاً.

في سكوت الليل لم يكن يسمع الا صوت دقات الساعة الخشبية الجميلة في الممر.

حين رفعت لوسي رأسها وجدت ادريان ينظر اليها. لم يكن من هدوء في عينيه بل قلق عارم وبدا متعبا للدرجة هائلة. لكن حين نظر الى وجهها المتعب وعينيها الداغيتين رفعت ملامحه وقال بحنان: «شكراً لك لمساعدتي في انقاذ امي هذه الليلة».

«انا... انا لم افعل شيئاً».

«على العكس، فور وصولنا الى هنا وكالعادة، كنت الأكثر تعقلاً وناعلية...».

«انا لم افعل شيئاً، والشئ القليل الذي فعلته، ولا بد انك تعرف ذلك... لانني احب والدك حياً حياً».

رد ادريان لا شعورياً: «بإمكانني الوقوع في حبك انت لاجل ذلك وحده يا لوسي».

ادارت رأسها بعيداً انه قد يحبها، لانها تحب امه، وانه سيتزوجها ليرضى امه. قالت فجأة: «أه. لا يمكننا الزواج، هذا مستحيل، قلت بنفسك ان كلي هذا كان مؤقتاً، لانقاذها فقط. هذه الليلة كنا مضطرين لإعادة تجديد وعودنا بالخطوبة والزواج لان ذلك بدا امراً مصيرياً بالنسبة للسيدة الوالدة، لكن يمكننا تبديل ذلك لاحقاً لا يعقل انك قصدت فعلاً ما قلته لها».

«ولم لا يا لوسي؟»

«حسناً... انت... انت لا تترقب فعلياً بذلك».

«كل ما اريد بفعله حالياً هو الامساك بالسيدة قاندرلايت وارتكاب جريمة». قال بضحكة، لكن في الوقت نفسه عليه تسوية الامور بيننا. من اهم الامور الان انه فور استعادة

امي لعافيتها الا تتعرض لاي خيبة امل قاتلة ثانية مطلقاً».

«لكن لا يمكن للمرء الزواج، فقط لارضاء والدته».

«سبق وفعل الناس هذا، قبل قرن من الزمان كانت معظم الزيجات تتم لارضاء الالهل يا عزيزتي».

«لكن هذا لا يحدث قبل مئة سنة بل الآن».

«لا تدعينا نتجادل، لكن عمليين وواقعيين امي هي كل حياتي ورغبتها هي ان اتزوجك، انت تحبنيها بدورك، ليس بقدر حبي لها، لكن ما يكفي لجعلك نرجسين بإسعادها».

انت وحيدة في هذه الدنيا، لا اقارب لك او ارتباطات، وسبق واخبرتني انك غير متعلقة بأحد من الشبان اذن لم لا لتتفق على عقد زواج عملي ترتبط به معا بما يرضي كل الاطراف».

تابع ادريان قائلاً: «اعرف انك لا تهتمين بي، وانا لا اهتم لك، انا رجل لا يطاق، وحدها امي المسكينة تعتقد انني رجل طيب وجذاب، لكني لا اطلب منك رؤية هذه الجاذبية بي او التظاهر بحبك لي فقط فتزوجي بي وفوراً اذا اردت».

«أفهم هذا كلياً، لكني لا اظنه سيكون زواجاً ناجحاً، الزيجات المدبرة لم تنجح ابداً».

«الزواج كمؤسسة لا تملك فرصاً كبيرة للنجاح، لكن الزواج المعتمد على الصداقة والدافع القوي قد ينجح فعلاً».

ردت لوسي: «هذه نظرية ساحرة».

هز كتفيه وقال: «كما تريد، لكن كوني منطقية يا لوسي، انت تحبين منزلي وتحبين والدتي، لم تقادرين قبرص والذهب للبحث عن وظيفة في عالم غريب؟ لم لا فتزوجيني وتجعلي فيللا فيتشيلاً منزلك الدائم؟ تعرفين مركزي، لدي مدخول جيد، بإمكانني جعل حياتك رغداً وسأبذل جهدي لأكون لك زوجاً صالحاً وبقدر ما تسمح لي به طبيعتي البغيضة».

رفعت نظرها إليه بعدم تصديق، إذن هو يعني فعلاً ما يقول: يريد ما أن تزوجه بها هو يتحدث عن «الزواج الصالح» هي لا تصدق ما تسمعه.

شعرت بيديه حول كتفيها وبشده لها برفق نغوه «هل فكرهين لهذه الدرجة فكرة ارتباطك بي؟» حين لم تجب ألح قائلاً: «حسناً» هل أنا مغر بنظرك لتلك الدرجة؟

ضحكت بارتباك لشعورها بعكس ما يقوله تماماً وقالت: «لا، لا تكن سخيافاً أديان».

«حسناً، إذن، هل ترصين بالوظيفة الجديدة التي اعرضها عليك وهي أن تغمتي بالذتي كونك كنتها وبني كوني زوجك؟»

«انت... انت لا ترغب بهذا فعلاً، لا؟»

«بل أريده وبشدة، رغم غرابية هذا... ومع أنني صعب المراس ولا أطاق أحياناً، لكني أكن لك احتراماً كبيراً في الواقع، أنت تعجبيني».

«لكنك لا تحبني... ولا مقدار بوصة».

تابع قائلاً: «الصداقة والاحترام أساس ثابت لأي زواج ناجح هل يمكنك أن تكوني صديقة لي ثانية يا لوسي؟»

«أنا... أنا لا أشعر بالعادية لو بعدم الولد نحوك أديان».

«حسناً، أما فيما يتعلق بنصف الزواج الثاني، فبممكننا منح أنفسنا الوقت، يمكننا الحفاظ على زواجنا لاطوني في البداية، إن كان ذلك يناسبك، لكن من الطبيعي كوني متزوجاً، إن أنجب أطفالاً ستحب والدتي ذلك».

«لنفترض أنني لا أريد ذاك النوع من الزيجات؟»

«سأفهم ذلك تماماً، لكن بوسعنا التوصل إلى اتفاق

والتضحية لن تكون من طرفك وحده كما تعلمين. والأكثر من هذا تستعدين من ذلك، فهكذا لن تضطري للعمل ثانية».

«أنت شخص دون قلب».

«حقاً» نظر إلى وجهها المتععض وقال: «أه، حسناً، أرى أنك ترفضين لغاتي في منتصف الطريق».

حينها استسلمت وقالت: «بل سأفعل، سأفعل! لكن كن عادلاً... أنا لا أعرف أين اتقف، كل هذا مجرد إجراء بارد، سادي لا روح فيه، لا أعرف ماذا أفعل أو ماذا أقول، لكني سأتزوجك، إذا اعتقدت أن هذا هو الحل الأفضل وأنه سيؤمن السعادة للجميع، سأفعل يا أديان صدقاً، ولطف منك طلب هذا مني».

قال: «هل تعنين هذا حقاً يا لوسي؟»

«أجل».

«حسناً، شكراً لك».

«بله شكراً لك» قالت بصوت مخنوق.

«هذا على الأقل سيسعد والدتي كثيراً، إن لم تمنعني فسأهتم بترتيبات الزفاف على الفور... سنقيم الحفل هنا في المنزل. سنحضر القنصل البريطاني ورجل الدين إلى هنا، كلما أسرعنا بذلك كلما كان أفضل لسرعة انتهاء والدتي».

«حسناً».

«أنا حقاً مدقن لك، أنت إنسان متسامح».

حافظت على رباطة جأشها وقالت: «أنت كذلك يدورك، لا تعتقد أن طلبك هذا لا يشرفني».

سأحاول ألا أجعلك حزينة، فيما يتعلق بالناس فأشك في كان أصدقائنا وأعدائنا في قبرص سيستقبلون أنك نصفين نفسك بزواجك مني».

ذاك كان اديريان الذي تحبه فقالت: «لا أبه مطاقا لما يعتدونه اي يعتبرونه. كارول وديكس وجدهما اصدقائي اما الباقيين... آه، اجل، على فكرة، ماذا بشأن فاليري؟»

«سأمنفي حسابي مع تلك الوقحة»

«تحتل لا تعرف تماما بعد ما الذي قالته...»

«بل تعرف، اخبرتنا امي بشت سموم كل قصتي واعتدائي المزعوم على آفروديت»

«لا تقدم بأي عمل طائش الآن، فهي لا تستحق مجرته التفكير بها، لحسن حقلها وحقلنا جميعا سنكون والدتك على ما يرام، لا تقابل فاليري ثانية يا اديريان، لا اريدك ان تفعل»

خرجت الكلمات من فمها قبل ان تتمكن من ايقاظها واندهش اديريان لشعرهما بالتملك ذاك وقال باجتماع: «أه! اذن خطيبتي العزيزة تمارس سلطاتها منذ الآن؟ حسنا، حسنا لكنني لن اكون قادرا على منع كساح نفسي من تلقاها درسا قاسيا ان رايتها»

«اخذ للفراش يا اديريان، تبدو مرهقا جدا»

«وانت كذلك ايضا»

«لا... انا بخير، سأذهب للجلوس قرب سرير والدتك»

«لا يمكنك البقاء مستيقظة طيلة الليل»

«سأخذ وسادتي واستلقي على الكنية قرب سريرها قد اغفو قليلا، لكنني سأصحو فوراً اذا استيقظت هي وراوت شيئا»

قال بثأثر: «انت فتاة طيبة»، سأتي لاحل مكانك بعد ان انام بضع ساعات»

«لا داع لذلك، بإمكانني تدبر الامر، انا على ما يرام»

تمطى وقال: «يا لها من ليلة...»

«اجل، يا لها من ليلة»، مد يده نحوها:

«تعالى وتمني لي ليلة هائلة»

«نصبح على خير يا اديريان، ولا تقلق مجدداً ابداً، سأنفذ كل ما ترغب به وسيكون كل شيء على مايرام... انا واثقة من ذلك»

كانت تخطق بسيل الكلمات تلك وهي تغادر الصالون وتصدع السالام مبتعدة عنه.

كانت احداث الاسبوعين التاليين مليئة بالغبطة بالنسبة للوسي، فصحة السيدة اوليفانت كانت في تحسن مستمر، وبعد اسبوع من العناية التمريضية الدقيقة اعلن الطبيب ارنولد انها تخطت مرحلة الخطر. فقد وظف لهذه المهمة ممرضة متوسطة العصر.

خفف ذلك بعض مهمات لوسي القليلة اصلا ووجدت نفسها الخطيبة الرسمية لأديريان اوليفانت الآن. ونشر اديريان خبر خطوبتهما في الصحف المحلية وفي صحيفة التايمز. وانهاالت برقيات التهنية عليهما وضمتها برقية من مدير لوسي السابق في القاهرة حيث اخبرها باحتمال مروره بهما الشهر المقبل.

كان اديريان الآن رجلاً مختلفاً، لم يعد متجهماً او بغيضاً، صار الرضى هو ما يمكن عينيه اينما ذهب وكيفية حل حتى انه كان يبدو سعيدا لتخطيط مستقبلهما، واقترح قضاءهما شهر العسل في اوروبا، سيطيران الى روما ومنها الى باريس ثم الى لندن.

سألها عن خاتم الزواج وما تفضله فرفضت التعليق لكنها وبعد اصرار منه قالت:

حجر الفيروز الشفاف الذي يعكس بلونه وصفائه سماء كيرينيا الجفيلة»

«حجر فيروز شفاف؟ يا لذوقك المتواضع...»
«ماذا توقعت مني أن أطلب... ماسة ضخمة براقعة؟»

رماسها بابتسامة ودية وقال بهدوء: «لا... في الواقع أنا لم اتوقع يوماً أن تكوني من محبي المال والذهب، على كل حال، أنا أيضاً أحب الفيروز وسأختار لك أجمل خاتم فيروز سأجده».

طار إلى القاهرة خصيصاً لشراء خاتم الخطوبة لها، اعطاها إياد قبل العشاء مباشرة تلك الليلة بطريقة عادية وضع الخاتم في أصبعها وقال:

«حظاً سعيداً مع حبي وأفضل أمنياتي يا عزيزتي... أمل أن يناسب مقاسه أصبعك».

هرمت الكلمات من فمها وحذقت بالخاتم في يدها وشبهت بالعجاب. فبهذه كانت أروع وأجمل فيروز شفاف سيق أن شاهدها. كانت كبيرة وراقعة وصافية وموضوعة على خاتم من الذهب الأبيض وتحيط بها أحجار الألماس من جانبيين.

اعطاها إياد مع «حبه»: «لو أنه فقط كان يعني ذلك فعلاً... لو أنه فقط يحبها إضافة لمصادفتها...»
سأله: «هل أنت مسرورة؟»

التصمت عيناها بالدموع وقالت: «أظنه أروع خاتم سبق أن رأيته في حياتي كلها، شكراً جزيلاً لك».

هذه الليلة وبرؤيته سعادة لوسي بخاتمها تذكر مجدداً طعم السعادة وشعر أنه راضياً وقانداً شد لوسي إليه فجأة طامعاً قلة دافئة.

«حبيبتي، أظنني سأستمتع بكوفي زوجاً لك».

«لا أظن الزواج منك سيكون شيئاً جدياً بدوره يا أدريان».

مرت اللحظة الحرجة، والعاطفة التي هبت فجأة داخل

أدريان انطبأت الآن استدار مبتعداً وعض على شفته، وحين تكلم الآن كان صوته خفياً وعادياً.

«أمني في أحسن حال اليوم».

«أجل، هذا صحيح، تكلم الطبيب مع الممرضة حول بقائها هنا شهراً آخر وقد سرها ذلك كثيراً».

«ممتاز إذن، يمكنك البقاء هنا للاهتمام بأمني فيم نحن في شهر العسل».

تضرج وجه لوسي خجلاً وتحاشت نظراته. لو أنه يعلم فقط ببركان اللهفة الحار المتخفي خلف هذا الوجه الرقيق الجذاب، الذهاب إلى أوروبا معه، كزوجته يا لها من سعادة طاغية.

وبصعوده للأطمئنان على والدته جلست هي تنظر إلى خاتمها وعقلها يقول لها:

أضبطي نفسك يا لوسي غريشام والا فتت قلبك إلى أشلاء. شعوره ليس كشعورك، هو حتى لا يشعر بنصف أو حتى ربع ما تشعرينه نحوه، كل ما يحدث معه هو مجرد سباحة على السطح، لا تكوني حذقاء وتذهب عميقاً حيث الخطر الأعظم.

لكن حقائقاً أم لا، تعرف هي تماماً أنها لا تستطيع تغيير شخصيتها، كانت حياتها قد اتخذت منعطفاً رائعاً بعد إعلان خطوبتها على أدريان وكانت سعادة الوالدة بذلك لا توصف، وكانت تنهمر بالهدايا على لوسي التي كانت ترفض دوماً لكن تعود فترضخ بسبب إصرار بلانش وليفتت الشديد، حتى أنها اعطتها المال لشراء جهازها».

«تشتري لوسي الألبسة فساتين، فقد أخبرها أدريان أنها ستختاران كل حاجياتها من روما وباريس لاحقاً.

سأجأت السيدة أوليفنت لوسي بقولها ذاك المساء:

«أريد طلباً منك يا حبيبتي لوسي.»

«ماذا؟» سألت لوسي بارتياك.

«أريدك أن ترتدي ثوب زفاف أبيض فستبدلين رائحة به.»

بدأت لوسي باعتراض: «لكن...»

«هيا لوسي.» قاطعها أدريان بإقتسام: «حققي لأمي رغبتها تلك من فضلك. فذلك هي رغبتني أنا أيضاً. سنكتشفين بعد حين أنني وأمي نتشارك الكثير من الأفكار التقليدية المعقدة.»

وافقت لوسي... والارتباك والحياء يمتعاتها من الجدل.

سارت أمور التحضير للعرس على أكمل وجه واقترحت السيدة بلاش أن ترتدي لوسي فستاناً فرحياً الواثق هي والمصمم في إيطاليا. وافقت لوسي طبعاً لكن قلبها كان طويلاً الوقت يتألم ويعتصر لإدراكها أن هبها لأدريان كان يزداد ويتوهج يوماً بعد يوم وكانت تعاسها تكبر معه لأدراكها أنه لا يحبها.

كانت قد سمعت من كارول أن فاليري غادرت الجزيرة في اليوم التالي لزيارتها المشؤومة للفيللا وأن نيكولاس استقر في أثينا حيث سيفتح فندقاً صغيراً هناك بعد أن وضع شقيقته مع عمتها. فرحت لوسي لسماعها ذلك عن نيكولاس وتمنت له التوفيق والسعادة أما سعادتها هي فقد وصلت وبشكل مفاجيء قبل يومين من موعد العرس المحدد.

كانت تجلس في الاستديو الخاص بأدريان. صباح أحد أيام الصيف الحارة. تفتح بعض الأشياء التي وصلت من القاهرة هذا الصباح مع عدة الرسم وخام اللوحات الجديدة. فقد قرر أدريان العودة للرسم مجدداً. ولوحته الأولى.

كما قال، ستكون لزوجته وفور عودتهما من شهر العسل. عى لوكاس باب الاستديو وناولها رسالة لها من نيكولاس اليسقون، جلست على حافة طاولة الرسم وبدأت بقراءة الرسالة مدركة أنه سيخبرها بما سبق لكارول أن اطلعها عليه. بدت لوسي بتنورتها الرمادية القطنية وبلوزتها الزهرية الصغيرة أصغر سناً مما هي عليه فعلاً.

فكذا وجدها أدريان حين عاد من البلدة ودخل إلى الاستديو ليخبرها ما أنجز من ترتيبات بشأن الزفاف. كانت هي مشغولة بالرسالة ولم تنبه لوصوله. للحظات طويلة ظل يحرق بها منهشاً. كم كانت تبدو جميلة بجلستها تلك. كل يوم يمر على قراره بزواجه من لوسي غريشام كان يحمل له المزيد من الاقتناع بصواب ما سيفعل.

تساءل عما نقرأ؟ عم يجعلها مسترسلة هكذا لحظات ثم صرخت ورفعت رأسها. وأنه فهرعت إليه وعيناها تلمعان بشدة. لكن شيئاً ما في وجهها أثار اهتمامه.

«ما الأمر يا لوسي؟»

ركضت إليه ومدت ذراعها نحوه بسعادة لا توصف. «أه، أدريان، أدريان! لكم هذا رائعاً.»

«ما هو الرائع؟ هل ترك لك أحدهم ثروة مفاجئة؟»

«بطريقة ما، نعم هذه ثروة... وأفضل من الثروة. هذا ما أسلمت به على العوام الحقيقية... وقد وصلت قبل زواجنا تماماً. أنا سعيدة جداً لأن هذا سيفرحك.»

تناول الرسالة منها لكنه لم يقرأها على الفور.

«حبيبتي.» قال بشكل عفوي: «ما كل هذا؟»

«أقرأها يا أدريان. إنها رسالة من نيكولاس. انظر من الغظافة اعترافي بفرحتي لموت المسكينة أفروديت. كانت

شابة وجميلة... المسكينة أفروديت! لكنها الآن بشدة. لا يسعني إلا الارتياح كونها اعترفت بما فعلت قبل موتها. تلاشت ابتسامة أدريان الآن، أفرو الصغيرة ماتت! تلك صدمة حقا. وأخذ يقرأ الرسالة وهو يشعر بالأسف قرا كيف أصيبت أفروديت بمرض السل وكيف أنها اعترفت لنيكولاس بكل كذبها قبل موتها.

اعرف الآن، كتب نيكولاس، أن السيد أوليفنت لم يكن يرمأ مذبنا تجاه شقيقتي المسكينة لقد تسببت له بالكثير من الأذى وأنا مذنب بدوري أيضا. وكوفي رجل شرف وأمانة سأحاول جاهدا التكفير عن الذنب الذي اقترفته بحق السيد أوليفنت وذلك بمجيتي شخصا إلى كيريتيا لكشف الحقيقة وإطلاع الجميع عليها. أما حاليا فقد أرسلت إلى جميع أصدقائي رسائل تشرح ما حدث وتطلب منهم إخبار الجميع بالحقيقة كي يعود اسم السيد أوليفنت نظيفا ومحترما كما كان عليه أن يكون ويبقى على الدوام مجددا أعير عن أسفي لكل ما فعلت ولكل ما فعلته تلك الطائشة المسكينة وأتمنى لكم السعادة معا.

رفع أدريان رأسه ونظر إلى لوسي التقت نظراتهما. تنفس الصعداء أخيرا وكان حملا ثقيلا قد انزاح عن ظهره. حمل ثقيل مثل حركته وعظمه لسنوات.

«لوسي هذا فعلا شيء رائع».

«بالكاد أصدق هذا. من المؤسف أن الموت وحده هو ما دفع تلك الفتاة المسكينة لقول الحقيقة».

«أنا الآن أنت تعرفين».

«لكنني كنت أعرف ذلك دوما. أنا لم أشك بك يوما».

استدار أدريان ونظر إليها «صحيح، هذا شيء سأذكره

على الدوام. أنت صدقتني منذ البداية، أنت وأمي»
«والآن سيصدقك الجميع. ستنتشر الأخبار في كل الجزيرة».

كان موتها يلعلع في صحت الاستديو ثم ساد الصمت مجددا. كل تلك السعادة كانت لأجله هو. كل ذاك الفرح. بحركة مفاجئة أحاطها بذراعيه وقربها منه وقال:

«ما سبب سعادتك هذه؟ لما يهمك الأمر لهذه الدرجة؟ هل الأمر أنك قلقة على سعتي. لأنك ستحملين اسم عائلتي بعد زواجنا؟»

«هذا قول فضيع من قبلك! تعرف أنني لا أهتم لهذا للنفس! أنا سعيدة لأجلك».

«لماذا؟ لماذا؟ أنا لا أهتم لك للدرجة، لا؟»

هفتت بيأس: «بل تهمني! تهمني كثيرا! أه. لكم أنت أحق يا أدريان! ألا ترى كم أهتم لأمر؟ هل أنت غبي لدرجة ألا تعرف أو تترك أنني مثيمة بحبك؟»

خرجت الكلمات منها بجنون وبأس. أمسك بها أدريان الآن بقوة مدركا أنه يمسك امرأة دافئة وحنونة و... تحبه بجنون. قال: «أه يا لوسي، لوسي حبيبتي... يا حبيبتي».

«أحبك... ولم استطع أبدا تحمل فكرة عدم حبك لي».

«لكنني أملك. أملك بكل ذرة في كيائي، وكأننا كنا نخفي مشاعرنا الحقيقية عن بعضنا منذ البداية. ظننتك تكرهيني بعد أن قبلت تلك الليلة وأنت قبلت الزواج بي لأجل أمي فقط».

«هذا ما ظننته بشأنك أنا أيضا».

«والآن أصبحنا نعرف. أه يا لوسي... لا فكرة لديك كم تنميت حدوث هذا».

«لا يعقل انك تحبني يا ابريان. انا لا اصدق ذلك.»
 «الآن سأقضي بقية حياتي وأنا ابرهن لك عن ذلك. لكنني
 اؤكد لك انني متيم بك فعلاً بإمكانني القول انني وقعت
 اسير هواك يوم المهرجان. بدأت برسم صورتك وانت نائمة.
 احمل صورة وجهك تلك في محفظتي على الدوام. هل اريك
 اياًها؟»

«أه، لا، لا.»

«ولم لا؟»

«لاني لا اريدك ان تتركني للحظة واحدة. اريدك ان تظل
 ممسكاً بي هكذا الى الابد.»

قال بتأثر: «احبك يا حبيبتي... لحبك كثيراً ولا يجدر
 بك التفكير بعكس ذلك ابدًا... ابدًا.»

قبلاته الكثيرة اكدت لها صدق ما يقول وكان هذا اقل ما
 حلمت به منذ اللحظة التي رآته... وسيستمر حلمها معه
 وقربه الى الابد... لانها الآن اسعد واكثر الغنيات حظا في
 العالم.

تـمـت

www.lulas.co